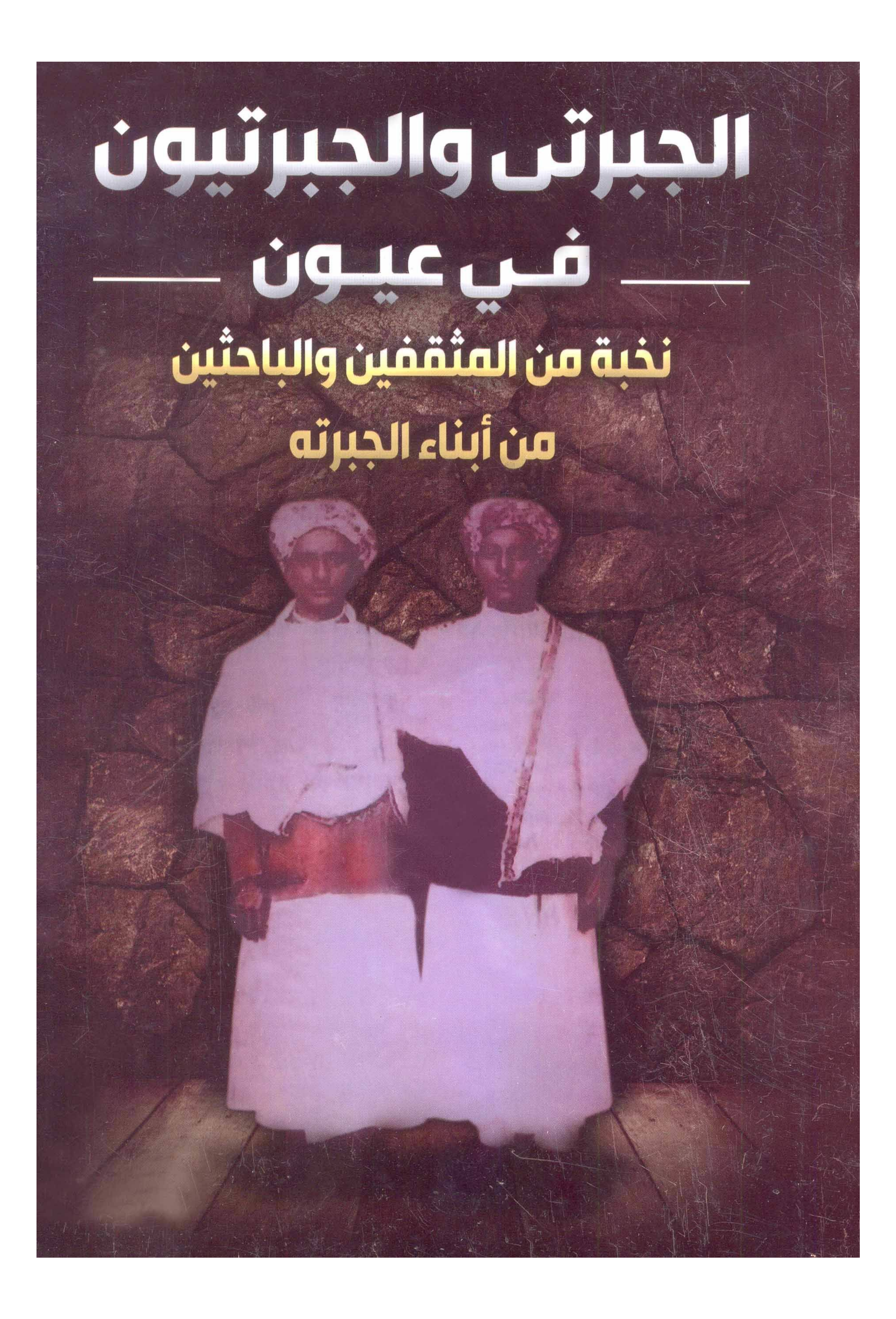
الجبرتي والجبرتيون في عيون

نخبة من المثقفين والباحثين من أبناء الجبرته





تاريخ وجيز للجبرتي

الموقع الجغرافي، التعداد، اللغة، العادات والأحوال الاجتماعية الوعي والتصور السياسي والاقتصادي

مقدمــة

لما بعث الله سبحانه وتعالى نبينا محمداً ﷺ رسولاً للعالمين قبل أكثر من أربع عشر قرنا ليدعو الناس إلى الإسلام الذي ينضوي تحت لواذه في عصرنا الحاضر بليون واحد ونيف من المسلمين، تحمل نبينا محمد ﷺ هذه الرسالة وبدأ يدعو قومه بأرض الحجاز إلى الإسلام فتصدى له قومه إلا نفراً قليلاً استجاب لهذه الدعوة. في هذا الوقت العصيب كان الشعب الجبرتي بأرض الحبشة من أوائل من استجاب الدعوة وآمن بالله وأيد هذا الدين وذلك عندما وصلته رسالة الإسلام من قبل القرشيين الذين هاجروا إلى أرضه فكان بحق درعا لرسالة رسولنا محمد ﷺ وملجأ لعقيدته. وعندما أرادت مشيئة الله أن ينتشر هذا الدين في جميع أنحاء العالم يثبت التاريخ بأن الشعب الجبرتي إيمانا منه بعظمة هذه الرسالة أخذ يساهم بقلب صادق وعقيدة راسخة في نشر هذا الدين. ويشهد التاريخ أن الشعب الجبرتي كان يهيمن

على أوسع رقعة من أرض الحبشة ضمن الإمارات السبع وكان له عدد كثيرا من الجنود. وقد ناضل هذا الشعب نضالاً مريرا من أجل نشر الإسلام وحقق نجاحات كبيرة في هذه المجال. وعلاوة على ذلك يشهد التاريخ بأنه نظراً للصراع العنيف الذي كان يدور بين الديانتين الإسلامية والمسيحية في أرض الحبشة منذ عهد الحطيات (ملوك مسيحيين) وحتى وقت قريب فقد تعرض الشعب الجبرتي ولا يزال يتعرض للاضطهاد والتعسف والإكراه رغم المحاولات الدؤوبة لطمس هويته.

وهذا لم يحصر حدوثه في أثيوبيا فحسب بل تغلغلت جذوره إلى ارتريا حيث كانت ولا تزال نفس الممارسات التعسفية تظهر جليا للجميع.

أن البلدان التي تعرف حاليا بإرتريا وأثيوبيا والصومال وكذا السودان لم يطلق عليها هذه الأسماء المميزة إلا منذ حوالي مائة عام. وكانت من قبل تعتبر أرضا واحدة تسمى أرض الحبشة، وعليه فإننا مضطرون للعيش ضمن الحدود التي رسمتها الدول الأجنبية ومع ذلك فان التعايش السلمي والاحترام المتبادل بين الجيران سواء في محيط البلدة أو الوطن أو المنطقة أمر ضروري. وهذا لا يعني بالضرورة أن يكون على حساب كرامة الإنسان وعرفه واسمه. بل ينبغي أن تصان كرامة الأفراد والجماعات والقوميات وتتحقق حقوقهم والمساواة ويسود العدل مع قيام كل فرد بواجبه. صحيح أنه قد تسعى دولة لتطغى على أخرى كما أن قومية تحاول أن تتعالى على الأخرى بل يتعدى الأمر إلى أخطر من ذلك حينما تستخدم شتى الوسائل لسلب حقوق الآخرين والتعتيم على دورهم وقهرهم ثم محاولة إزالتهم من الوجود نهائياً.

هذا وقد أصبحت هذه الأمور مألوفة في هذا العمر الذي نعايشه وبالتالي يتعين على المرء أن يناضل من أجل إثبات كيانه متسلحا بالشجاعة والإقدام والأناة.

وفي الختام أود أن أذكر بأنه سبق أن قام كُتاب عديدون من الغربيين والعرب بالكتابة

عن تاريخ الجبرتي أو أرض الحبشة ولكن مؤلفاتهم كانت بعيدة عن الموضوعية وتكتنفها الأهواء والأغراض. فأما هذا الكتيب الموجز فلم ينأ عن الحقيقة المدعمة بالأدلة. ودون أدنى شك سيجد فيه الجبرتي بصفة خاصة ما يمهد لهم الطريق إلى معرفة هويتهم.

ان من يطلق عليهم (الجبرتى) يوجدون ضمن شعوب ستة من أقطار العالم، هي: ارتريا وأثيوبيا وشطرا اليمن والصومال والمملكة العربية السعودية. وهذا البحث يسلط الضوء على الجبرتى الإرتريين فقط[1].

وبالرغم من أن كلمة (جبرتى) تحمل في ثناياها معاني متباينة فان ما ذكره مؤلف كتاب (جواهر الإحسان في تاريخ الحبشان) يشير إلى أن كلمة جبرتى مشتقة من الكلمة العربية جبر التي تعني فيما تعني : أصبح وأرضى وساعد وألزم .

ومن ناحية مفهوم الإيمان التقليدي الأثيوبي يقال أنها اشتقت من كلمة (غبرت) وتعني المتفاني في خدمة خالقه كما يقال بأنها مأخوذة من كلمة (غبار) التي تعني بالتقرينية مزارع .

ولما كان الجبرتى ممن يناصرون الرسول ﷺ ويلتزمون بدينه فان كلمة الجبرتى تعني أيضاً شخصاً نافعاً يعول عليه .

ونحن نرى أن هذا يؤكد أصالة الكلمة ويجعلها مطابقة للمعني الأخير. أن كلمة أو مسمى (الجبرتى) قد توارثته أجيال بعد أجيال وقد نقل إلينا عبر التاريخ الشفوي القديم من قبل أجدادنا القدامى وأهم من ذلك نجده مسطوراً في تاريخ الإسلام وفي أحاديث نبينا محمد ﷺ . فإننا نؤمن به كحقيقة تاريخية. وتشير كتب التاريخ الموثوق بها إلى أن النجاشي أرمالك الثاني أصحمه أو الأصحم الذي كان

---

(١) وكذلك في سلطنة عمان.

يحكم أرض الحبشة في عهد الرسول ﷺ، قد استقبل المهاجرين الأوائل من المسلمين الذين هجروا الجزيرة العربية ودخلوا بلادنا حفاظاً على دينهم وأرواحهم استقبالاً حسنا ونفعهم كثيراً، ثم بعد تبادله الرسائل مع النبي ﷺ أرسل بعثة ملكية إلى أرض الحجاز (غرب المملكة العربية السعودية) لمقابلة الرسول ﷺ وهي تحمل إلية الهدايا.

ويشهد التاريخ بأنه عندما مثل أفراد البعثة أمام رسول الإسلام نبينا محمد ﷺ استقبلهم بالبشاشة والترحاب البالغ ثم قال "هؤلاء هم الجبرتي" أي هؤلاء هم النافعون الذين يعول عليهم.

وكانت كلمة(الجبرتي) منذ ذلك الحين وحتى عصرنا الحاضر تطلق على المسلمين الأحباش الذين كانوا يذهبون إلى الجزيرة العربية قادمين من شمال الحبشة. وبعد انتشار الإسلام في داخل الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من بلاد الحبشة، يشير التاريخ إلى أن المسلمين الذين كانوا يأتون إلى الجزيرة العربية قادمين من هذه الأجزاء كان العرب يطلقون عليهم أيضاً بصفة عامة (الجبرتي) وذلك لعدم تمكنهم من تمييزهم عن مسلمي شعب شمال الحبشة.

وان إطلاق الجبرتي لمختلف مسلمين الحبشة الذين يقطنون في كل من سراي وأكلي غوزاي وحماسين في أرتريا والموجودين في كل من شرى وايابو ومنطقتي عدوا وأكسوم وتمبين وحاوزين واندرتا وكذلك في ولقايت و صلمت وحاوزان ومنطقة غندر في أثيوبيا، متفق عليه من قبل العرب وغيرهم من الأمم الأخرى في عصرنا الحاضر كاسم مميز لهذه الشعوب الناطقة باللغة التقرينية.

على نحو مماثل تماما لقومية التقرى التي تحتضن أبناء التقرى في سمهر والساحل وبركة وسنحيت ونجد أيضاً قومية (الهدارب) تحتضن أبناء الهدارب في الحدود الشمالية وأطراف الساحل وأجزاء الشمال الشرقي حتى وسط بركة وهكذا تتوزع

أيضا بقية القوميات الأرترية حسب المناطق التي تقطنها.

وبما أن اسم الجبرتى عام إلا أنه يمكن تعريف الجبرتى حسب منطق إقامتهم حيث نقول : جبرتى سراية، جبرتى حماسين وكذلك جبرتى أكلي غوازي وهكذا دواليك . وبالرغم من اختلاف مناطق اقامة الجبرتى إلا أنه من المؤكد بأنهم متحدون في العادات والتقاليد والتاريخ وأسلوب التحدث والظروف الاجتماعية والنظرة الفكرية . كما أنهم يتصفون بشعور وموقف ذهني واحد .

وإذا ما نظرنا إلى ما ذكرناه أعلاه من الناحية التاريخية فان الشعب الجبرتي بصفة عامة تتسم ملامحه بوحدة المظهر. وعلى الرغم من أن اغلب الجبرتي ينحدرون من أبناء الحبشة السابقين في الإسلام ومن المسلمين العرب الذين قدموا إلى الحبشة، غير أن العديد منهم ينحدرون أيضا من وثنيين. كما ينحدر عدد قليل منهم من نصارى هداهم الله إلى الإسلام في فترات متفاوتة وهذه حقيقة لا تنكر . وقد تناسل جزء من هذا الشعب أيضاً من قوميات / جنسيات أخرى سواء في أرتريا أو خارجها عن طريق المصاهرة وبحكم الجوار والاختلاط بالمجتمع الجبرتي.

فعلى سبيل المثال نرى كثيرا من أسر جبرتية نشأت في المنخفضات الارترية الشرقية و الغربية بالتزاوج مع أبناء تلك المناطق صارت نمط حياتهم وأحاسيسهم و ملامحهم لا تختلف عن سائر أبناء الجبرتي.

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى ما قاله عالم إيطالي بعد أن تأمل مليا طبيعة الجبرتي ومدى التأثر بها (أنه في حالة ما تزوج الجبرتي فتاة من قومية أخرى فأنها تصبح جبرتية مباشرة) وكذلك(إذا ما تزوج رجل من مجتمع أخر بفتاة جبرتية فانه يصبح أيضا جبرتي) واستطرد العالم الإيطالي قائلا: (ومن هنا نستخلص بأن عادات وتقاليد الجبري ذات تأثير بالغ) وبمعنى آخر يعتبر المجتمع الجبرتي بوتقة بنصهر كل من

دخل فيها ويتحول إلى شخص ذي طبائع جبرتية أ هـ .

يروي لنا التاريخ على أن أعداداً كبيرة من أهل الحبشة قد دخلوا في الإسلام في القرن السابع الميلادي عندما هاجر بعض المسلمين الأوائل من الجزيرة العربية إلى الجزء الشمالي من بلاد الحبشة وكان من بينهم النجاشي أرماك الثاني نفسه وقد أكد هذا المؤرخ المشهور الذي عاش في ذلك العصر وهو ابن هشام في كتابه التاريخي الذائع الصيت (سيرة الرسول ﷺ) كما أكد ذلك مؤرخون آخرون كبار مثل الطبري و ابن الأثير وغيرهم حقيقة دخول النجاشي أرماك الثاني في الدين الإسلامي.

علاوة على ذلك فان كتب التاريخ تروي بأن جعفر بن آبي طالب قائد مجموعة المهاجرين المسلمين الأوائل قد أكد للرسول ﷺ عندما عاد إلى بلاده بأن النجاشي أرماك الثاني قد أسلم على يديه ونطق بالشهادتين.

ولما علم النبي محمد ﷺ بوفاة النجاشي صلى وصحبه عليه صلاة الغائب.

ولما كانت هذه الصلاة الخاصة لا تقام إلاَّ عند وفاة مسلم فان هذا يؤكد بلا جدال حقيقة إسلام النجاشي أرماك الثاني وإيمانه.

ومن ناحية أخرى فقد أطلق نبينا محمد ﷺ على أرماك الثاني أسم أحمد ومنذ ذلك الوقت أصبح يعرف بين الشعوب الإسلامية في كافة أرجاء العالم بأحمد النجاشي. وقد سجل التاريخ الإسلامي بأن أحمد النجاشي وأتباعه من مسلمي الحبشة لا يعتبرون أول من أسلم خارج الأراضي الحجازي فحسب بل خارج مكة المكرمة أيضا.

ان المعاملة الإنسانية الحسنة التي قدمها أحمد النجاشي للمهاجرين الأوائل من المسلمين الذين لاذوا ببلادنا في صدر الإسلام جعلته يحظى باحترام عظيم في أوساط مسلمي العالم قاطبة ومسلمي الحبشة بوجه خاص.

ولما كان الموقع الجغرافي للجبرتي خلال أربعة عشر قرنا من الزمن يقع في المرتفعات والمناطق المحيطة بها فقد تعرضوا لألوان من الاضطهاد والتعسف التي مارسها ضدهم الأورثوذوكس والمسيحيون الآخرون منذ فجر تاريخهم وحتى الآن ولكن لكون الجبرتي شديدي الالتزام بدينهم لم يزدهم ذلك إلا التزاما أكثر.

مع أن الجبرتي، انطلاقا من حبهم المتأصل للوطن، قد ساهموا ولا زالوا يساهمون بدور إيجابي في الجهود التي بذلت ولا تزال تبذل من أجل بناء الوطن من الناحية المعنوية أو العملية والاقتصادي والاجتماعية بالانخراط في الجيش للذود عن الوطن وتعاطي التجارة وممارسة الأعمال المهنية إلا أن التاريخ يشهد بأنهم كانوا يكابدون الاضطهاد.

يعتبر الجبرتي تاريخ القائد العظيم الامام أحمد إبراهيم الغازي الملقب (بالأعمر) جزء لا يتجزء من تاريخهم، ويروى لنا التاريخ أنه نظراً للاضطهاد المرير الذي كان يعاني منه الشعب الجبرتي لقرون عديدة من قبل ملوك النصارى الذين لم يتورعوا عن قتل أبنائه وتدمير واحراق ممتلكاته طوال هذه المدة، فقد نهض الامام أحمد ببسالة على وضع حد لهذه الممارسات البشعة فخاض في القرن السادس عشر حروبا ضروسا دامت لأكثر من عشرين عاما أبلى فيها بلاء حسنا وأحرز فيها انتصارات عديدة وأظهر بطولات عظيمة. ونجم عن ذلك ليس تحرير الجبرتي فحسب وإنما تحرير جميع المسلمين في الحبشة من ذلك الاضطهاد البشع الذي استمر طويلا وكانت هذه الفترة حقا، كما يشهد التاريخ بالنسبة للمسلمين فترة تنفس فيه المسلمون الصعداء.

ولكن عندما استشهد الامام أحمد، وابتداء من عهد غلاوديوس ملك الملوك تعرض المسلمون وبصفة خاصة أبناء الجبرتي لأشد ألوان الظلم والاضطهاد والبطش قساوة وشناعة وكان أشد من الفترة السابقة. وقد لا يخفي على كل من يقرأ

التاريخ الذي يؤكد بأن أسوء وأفظع اضطهاد تعرضوا له كان منذ القرن السابع عشر فصاعدا.

كتابه المشهور (STORIA DI ABISSINIA) ما حدث للمسلمين في ذلك العهد قائلاً (عندما رأي يوهنس الأول ملك الملوك الذي كان يحكم في القرن السابع عشر، انتشار الإسلام في عهده، عقد العزم على إيقاف هذا المد الإسلامي ببث كراهية الإسلام في أوساط المسيحيين واحتقار كل من يدين بالإسلام ثم أصدر مرسوما يقضي بإجلاء مسلمي الحبشة من المدن التي يقيمون فيها وفصلهم من الآخرين ليقيموا كجماعات في مناطق منعزلة. وعندما طبق هذا المرسوم تعرض المسلمين في جميع أرض الحبشة وخاصة الجبرتي في المرتفعات الشمالية لممارسات تعذيب بشعة وفظيعة تدعو إلى الاشمئزاز جعلتهم يعيشون في نكد وشظف.

إلا أن أسوء وأفظع الاضطهاد والظلم وممارسات التعذيب الأكثر قساوة وتعسفا حلت بالشعب الجبرتي في عهد يوهنس الرابع ملك الملوك في القرن التاسع عشر الميلادي وقد بلغ الاضطهاد والتعسف إلى درجة لا تطاق عندما أصدر يوهنس الرابع مرسوما يجبر جميع المسلمين على الارتداد عن دينهم واعتناق المسيحية. ونتيجة لهذا المرسوم الجائز واللانساني فان الكثير من الجبرتي الذين رفضوه قتلوا، والعديد منهم عذبوا وماتوا في المعتقلات، كما اضطر عدد كبير منهم للفرار إلى مصوع ومناطق أخرى من البحر الأحمر والسودان واليمن من أجل انقاذ حياتهم حيث ذاقوا معاناة شديدة من الغربة المريرة وفقد كثير منهم حياتهم خلال مسيرة اللجوء بسبب الجوع ومهاجمة الوحوش الضارية. وبالرغم من أن عدداً قليلاً من الجبرتي عاشوا في هذه المناطق حياة لا بأس بها إلا أن أغلبهم قضوا حياة البؤس والشقاء.

ولما ألحق الدراويش الهزيمة بالملك يوهنس وقتلوه في منطقة متما، عاد أغلب

اللاجئين الجبرتي إلى وطنهم الأم. وعودتهم هذه شهادة تثبت مدى حبهم لوطنهم.

وكما لا يخفي على أحد، فمنذ القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩٤٢م، عندما كانت ارتريا تحت إدارة الاحتلال الايطالي، فقد فتحت لمسلمي ارتريا صفحة جديدة من التاريخ.

وابان هذا العهد الاستعماري فان وسائل تسهيل شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية والمعيشية التي كانوا محرومين منها لقرون عديدة قد تهيأت وفتح الباب على مصراعيه وتمكن العديد من أبناء المجتمع الجبرتي من تحسين وضعهم المعيشي على المستويين الاقتصادي والاجتماعي إلى درجة مقبولة جدا. نظرا لإثراء الكثير منهم فقد بلغوا إلى أعلى مستوى اجتماعي. كما تمكنوا من بناء كثير من المساجد في المدن الارتيرية نتيجة حصولهم على الحرية الدينية.

كما أنعم على كثير من أبناء الجبرتي القاب شرف مختلفة حيث نال بعضهم ألقاب شرف رفيعة المستوى كالدجازمش ولم يسبق لهم أن نالوا أية ألقاب شرف خلال تاريخهم الطويل. كما أنعم على بعض الشخصيات الأرترية من المسلمين ألقاب ذات درجة أرفع كالباشا.

وبالرغم من أن الكثير من أبناء الجبرتي قد أتيحت لهم فرص حياة الرخاء وأنعم عليهم بألقاب شرف رفيعة في عهد الاستعمار الايطالي إلا أن حبهم الصادق لوطنهم الأم أرتريا وشعورهم القوي بوطنيتهم لم تتأثر كلية في يوم من الأيام.

د. ياسين محمد ابره

الموقع الجغرافي وتعداد الشعب الجبرتي

كما سبق وأوضحنا في الفصل الأول من هذا الكتيب أن معظم أبناء مجتمع الجبرتي يقطنون في أقاليم سراية وأكلي غوازي وحماسين الارترية. ويشتغل كثير منهم بالزراعة بينما يزاول بعضهم مهنا مختلفة لكسب معيشتهم اليومية. وعلى الرغم من أن بعض أبناء الجبرتي يعيشون مختلطين مع مزارعين مسيحيين في مناطق تواجدهم إلا أن أغلب الجبرتي في إقليم سراية لهم مناطقهم الخاصة. وهناك أيضا مناطق مماثلة في كل من اقليمي اكلي غوازي وحماسين. ويوجد العديد من القرى في هذه الأقاليم الثلاثة يعيش فيها الجبرتي فقط أو أغلب سكانها من الجبرتي.

وإذا نظرنا إلى هذه الأقاليم من ناحية موقعها الجغرافي نجدها متجاورة ومترابطة. أما فيما يتعلق بعدد سكان الشعب الجبرتي فلا نغالي إذا قلنا بأن عدد الشعب الجبرتي الموجود في الأقاليم الثلاثة سراية واكلي غوازي وحماسين وكذا في المدن الارترية وخاصة مدينة اسمرا يصل إلى نحو مليون نسمة.

وهناك عدد يقدر بالآلاف من أبناء الجبرتي يكسبون رزقهم اليومي عن طرق الاشتغال بالتجارة ومزاولة مهن مختلفة والعمل في المصانع في المدن الارترية كأسمرا ومندفرا وعدى خوالا وقندع وكرن ومصوع ودقمحري وعدى قيح. ولا يزالون يؤدون الدور الأكبر في تنمية الاقتصاد الوطني. ومع أننا لا نزعم بأن الجبرتي وحدهم هم الذين أسسوا أو بنوا هذه المدن إلا أننا نجزم بالقول بأن دورهم في تأسيسها أو بنائها كان جليا.

اللغة والتقاليد

ليس من الضروري أن تتخذ اللغة أصلا لتحديد هوية قويمة ما أو بلد ما. فعلى سبيل المثال هناك ٢٢ بلدا من بلدان العالم تنطق باللغة الأسبانية كما أن هناك ٦ دول تتخذ اللغة الانجليزية لغة لها. وهناك أيضاً دول تستخدم اللغتين البرتغالية والفرنسة. ان هذه البلدان المختلفة لا تقع تحت حكومة ودولة واحدة بحجة أنها تتحدث بلغة واحدة. ان هذه البلدان المختلفة لا تقع تحت حكومة ودولة واحدة بحجة أنها تتحدث بلغة واحدة. بالإضافة إلى ذلك هناك العديد من القوميات أو مجاميع من القوميات المتباينة تتحدث بلغة واحدة أو لغات متماثلة. فمثلاً مع أن اللغات العفوية والسهاوية والصومالية والأورومية تنتسب إلى أسرة المجموعة الحامية إلا أنها وباستثناء الناطقين بلغتي العفر والساهور المتقاربتين نوعا ما، فان الذين يتحدثون باللغة الصومالية والأورومية لا يستطيعون أن يفهموا بعضهم بعضا وكذلك أيضا مع أن اللغات التقرية والتقرينية والغنزية والعربية والأدرية وغيرها من اللغات التي تنتسب إلى أسرة المجموعة السامية، لغات متقاربة إلا أن الشخص الناطق بإحدى هذه اللغات لا يستطيع التفاهم مع الذين يتحدثون اللغات الأخرى المشتقة من نفس المجموعة ما لم يتعلمها.

ولما كان المتحدثون بالعفرية والسهاوية لا يجدون صعوبة في التفاهم فيما بينهم فيجوز أن نعتبر اللغتين كلغة واحدة، إلا أنه وان وجدت وحدة اللغة بينهما فان الشعبين العفري والمتحدث باللغة السهاوية يعتبران قوميتين مختلفتين.

ومما لا ريب فيه أن الجبرتي قوم يتحدثون اللغة التقرينية ولكن نتيجة لتاريخهم المميز والطويل وتوارثهم المتواصل للتقاليد الإسلامية جيلاً عن جيل منذ أربعة عشر قرنا فان التقرينية التي يتحدثون بها قد اعتراها تغيير جذري كبير.

ولما كانت اللغة التقرينية التي يتحدث بها الجبرتي مطعمة بكلمات عربية مستمدة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والشريعة الإسلامية بصفة خاصة ومن الثقافة والقصص الإسلامية والعربية بصفة عامة فان المتحدث باللغة التقرينية من غير الجبرتي لا يستطيع فهم ما يتحدث به الجبرتي فيما بينهم بسهولة وان هذا ليس ناجما عن اختلاف اللغة فحسب بل لأن طريقة تصور وتفكير الجبرتي دخل في ذلك. وبمعنى آخر أن من لا يعرف الجبرتي معرفة جيدة من العسير عليه أن يفهم لغتهم بسرعة.

وهذا لا يعني أن الجبرتي هم مثل أولئك الذين يتحدثون لغات أخرى ويخلطون في أحاديثهم كلمات انجليزية أو فرنسية أو ايطالية أو عربية بسبب تأثرهم بالتعليم الحديث بل في الواقع أنهم يتحدثون لغة تحتوي على ٣٠ إلى ٤٠ في المائة من الكلمات التقرينية المطعمة بالكلمات العربية.

وعندما نقول بأن الجبرتي مختلفون أيضا في أسلوب كلامهم فإننا نعني أن الجبرتي بالإضافة إلى القصص والأمثال أو الحكم التي تتخلل أحاديث الناطقين باللغة التقرينية في المرتفعات فإنهم يستخدمون أيضا القصص والأمثال وكذا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة السائدة في العالم الإسلامي التي دون شك تثري معارفهم وتوسع مداركهم وتعطي أحاديثهم نكهة خاصة.

تقاليد الجبرتي

نظراً لتأثر الجبرتي بثقافة الحضارتين الأكسومية والإسلامية فان تقاليدهم تختلف اختلافا كبيرا عن تقاليد القوميات الأخرى في ارتريا وهذا الاختلاف يظهر جليا في تفكيرهم وتصوراتهم وسلوكهم ونظامهم في إجراءات مراسيم الأفراح والمآتم وبوجه عام في علاقاتهم الاجتماعية.

وفيما يتعلق بإجراءات مراسيم الأفراح والمآتم فان الجبرتي يختلفون أيضا عن المسيحيين في ارتريا، فإذا ما تتبعنا مراسيم الزواج التي يقوم بها الجبرتي فإننا نجدها تختلف اختلافا أساسيا عن المراسيم التي يقوم بها المسيحيون في المرتفعات.

فمثلاً إجراءات مراسيم الزواج عند الجبرتي مختصرة أكثر مما هي لدى بعض المسلمين الارتريين، كما أن أهل العروس عند المسيحيين المتحدثين باللغة التقرينية يقدمون مبلغا من المال يعرف بالبائنة (الدوطة) عادة ما يكون مبلغا كبيرا فعند الجبرتي نظرا لارتباط مراسيمهم وتقاليدهم بالشريعة الإسلامية كغيرهم فان العريس أو أهله يقدمون مهرا بسيطا فضلا عن أن العريس يقوم بتجهيز العروس حسب إمكانياته المالية خلافا لبعض المسلمين الارتريين الذين يدفعون مبلغا كبيرا من المال للعروس وطبقا لنظام المسيحيين الناطقين باللغة التقرينية فان العريس ملزم بتقديم ضامن بينما في نظام الجبرتي يلزم العريس على تقديم وكيل وضامنين.

والجبرتي كغيرهم من المسلمين يباح لهم أن يتزوجوا قريباتهم إلا أن هذا لا يجوز عمله في أوساط المسيحيين.

وفيما يتعلق بمراسيم المآتم ودفن الميت ـ هناك اختلافات واضحة، فنساء الجبرتي لا يشيعن الجنازة إلى المقابر كما يفعل النساء المسيحيات في ارتريا. وفي مراسيم تشييع الجنازة جرت العادة في أوساط المسيحيين أنه إذا كان الميت ذا منصب كبير أو كان ذا سمعة حسنة في المجتمع يقوم المشيعون يعرض دروع وحراب وأفراس وبنادق وزجاجات مليئة بالخمر وصورة الميت وأشياء أخرى، ثم تلقى أشعار وكلمات تأبين على جثة أو قبر المتوفي فان هذه العادة لا يجوز فعلها إطلاقا في أوساط الجبرتي لأن دينهم يحرمها.

وعلى نقيض المسيحيين الذين يجتمعون مختلطين رجالا ونساءا لمواساة الحزانى وتخفيف أحزانهم، يجتمع الجبرتي دون اختلاط الرجال بالنساء في مكانين منفصلين ويتلون القرآن ويدعون الله من أجل المتوفي أو المتوفية وفي بعض الأحيان كغيرهم من المسلمين الآخرين في ارتريا يستمعون إلى وعظ أو محاضرة دينية عقب قراءة سورتي يس وتبارك ويقوم بعض من لهم صلة قرابة أو علاقة جيدة / علاقة جوار أو صداقة بالميت عند أهل الميت لنحو ٣ أيام مشاطرة لهم في أحزانهم.

وهناك عادة ينفرد بها الجبرتي عن غيرهم من المسلمين الارتريين وهي توزيع قطع من الخبز مع الشاي أو القهوة على المصلين عقب أداء صلاة الفجر جماعة في المساجد وهذه العادة تسمى (ترتيب) حيث يقوم السكان الجبرتي المجاورون للمسجد بأعدادها كل صباح بالتناوب. وفائدة هذا:

أولاً: تكون بمثابة فطور لمن اضطر إلى المبيت في مسجد أو ضيف نزل في فندق أو لمعوز بين المصلين.

ثانياً: تساعد على تنشيط المصليين فيبقون في المسجد بعد الانتهاء من الصلاة وأدعية الصباح للتشاور في بعض المشاكل الاجتماعية وتبادل أخبار مجتمعهم وتفقد

أحوال أفراده، كما يستطيع من يواجه ضائقة أو مشكلة ما أن يطرح مشكلته ويشرحها ويطلب مساعدة أخوانه لحلها.

وتبذل أيضا جهود كثيرة من قبل المشاركين في صلاة الصبح لإصلاح ذات البين في حالة خصومة أو سوء تفاهم فيما بينهم أو بين أبناء الجبرتي في منطقة أخرى أو بين أناس آخرين من غير الجبرتي.

ولا يخفى على كل من يعرف الجبرتي عن قرب أو يتتبع أحوالهم بأن جانبا كبيرا من سوء التفاهم الذي يحدث بين الجبرتي يتم تسويته غالبا بفضل هذه الجهود الاجتماعية التي تنطلق من المسجد. وبالتالي فان الجبرتي لا يستخدمون المسجد لإقامة الصلوات ومجالس الذكر وتدريس العلوم الإسلامية فحسب بل يستغلونه كمركز لخدمة المجتمع ومعالجة مشاكل عديدة. وانطلاقا من هذا المفهوم الذي يلعبه المسجد من دور عظيم في خدمة المجتمع فانه في حالة إقامة أكثر من سبعة أفراد من أبناء الجبرتي في مكان واحد فلابد أن يبادروا أولا في بناء مسجد وهذا القول ليس بعيدا عن الحقيقة فعلى سبيل التوضيح فان عدد المساجد الموجودة في أماكن إقامة الجبرتي وخاصة في إقليم سراية أكثر من المساجد الموجودة في جميع أنحاء ارتريا.

وعي الجبرتي وتصورهم السياسي والاقتصادي

الجبرتي لهم موقف خاص في تصورهم السياسي والاقتصادي. ان جميع أبناء قومية الجبرتي مسلمون، وأنهم معرفون بالشجاعة والاهتمام بالوطن من منطلق الإيمان حيث يطبقون المأثورة الإسلامية القائلة (حب الوطن من الإيمان) والإسلام يدعو إلى حب الوطن بدون إفراط ولا تفريط شريطة أن لا يؤدي إلى الشعور بالكراهية لبلدان وشعوب أخرى وأن لا يتعارض مع منظور الأمة الإسلامية الواحدة وشريطة أن يكون متحررا من الشوفينية أي الغلو في الوطنية والتعصب القومي. ويفرض

الإسلام على المسلم أن يبذل النفس والنفيس ويستشهد في سبيل وطنه إذا اقتضى الأمر ذلك. وعلى ضوء هذا المفهوم فان التضحيات الجسيمة التي بذلها الجبرتي لخير دليل على مدى حبهم لوطنهم واهتمامهم البالغ بمصلحته.

ان ممارسات أباطرة أثيوبيا بصفة عامة وممارسات الإمبراطور يوهنس التعسفية واضطهاده للمسلمين التي بلغت إلى درجة إجبارهم على الارتداد عن الإسلام بصفة خاصة كانت راسخة في ذاكرة كبار السن من الجبرتي الذين كانوا لا يزالون على قيد الحياة عندما أصبحت ارتريا تحت سيطرة الحكومة الايطالية مما جعل الجبرتي غير قادرين على نسيان الماضي البغيض الذي ترك في نفوسهم أثارا لا تنمحي. ونظراً لاشمئزاز الجبرتي واقشعرار أبدانهم كلما تذكروا الحكم اللانساني للحكومة الأثيوبية المسيحية وحرصا منهم على عدم وقوعهم مرة أخرى تحت براثين الممارسات التعسفية والاضطهاد السياسي والاجتماعي للحكم الأثيوبي الاستبدادي فلقد اضطروا إلى أن يتبنوا رؤية سياسة مختلفة خاصة بهم.

الجدير بالذكر أنه بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ووضعت ارتريا تحت الانتداب البريطاني منذ عام ١٩٤٥م سمح بممارسة النشاط السياسي في ارتريا فتشكلت أحزاب سياسية قامت بنضال سياسي كبير. وفي هذا المناخ السياسي استطاع المجتمع الجبرتي أن يلعب دورا ايجابيا كبيرا نظرا لتمتعه برؤية سياسية واضحة.

في حين كان للقوميات الارترية الأخرى رؤية سياسية متباينة كان غالبية الجبرتي يتمتعون برؤية سياسية محددة المعالم مقرونة بشعور وطني صادق واهتمام بالغ بمصلحة الوطن وموقف ثابت لا يتزعزع جعلهم لا يرضون بأقل من الاستقلال الكامل.

وثمة حقيقة سوف تظل محفوظة ذاكرة التاريخ وهي في ذاكرة التاريخ وهي في حين أن الجبرتي وغالبية القوميات الإسلامية الأخرى كانوا يدعون إلى استقلال ارتريا

الكامل كان ٩٠٪ من الشعب المسيحي في المرتفعات وعدد قليل من المسلمين في أنحاء متفرقة من ارتريا كانوا ينادون بـ (أثيوبيا أو الموت) ويؤيدون الوحدة مع أثيوبيا، كما أن بعضا من سكان المنخفضات الغربية من ارتريا كانوا يفضلون الارتباط بالسودان.

وفي الأربعينات والخمسينات عندما قامت أثيوبيا بتسليح وتموين بعض العناصر من أبناء المرتفعات لتنفيذ مؤامرتها، تعرض الجبرتي إلى ممارسات تعسفية وجائزة إلى أبعد الحدود من قبل هذه العناصر التي قامت بعمليات الاغتيالات وجدع آذان بعض أبناء الجبرتي وإبادة مواشيهم وإحراق ممتلكاتهم ومحاصيلهم الزراعية.

وأن هذه العناصر التي نفذت هذه الممارسات الإجرامية البشعة والأشخاص الذين راحوا ضحيتها مدونون في سجلات التاريخ فردا بأسمائهم وقراهم. وبالرغم من بشاعة وشناعة هذه الممارسات صمد الجبرتي ولم يحيدوا قيد أنملة من هدفهم الذي كانوا يسعون إلى تحقيقه وفي النهاية تمكن الشعب الارتري من الوصول إلى مرحلة المطالبة بحقه في نيل الحرية والاستقلال، وواصل نضاله بثبات وإصرار مواجها كل العقبات التي تقف أمامه متحليا بالصبر. وقد سجل التاريخ بان الكفاح الذي خاضه الجبرتي والقوميات الأخرى التي كانت تنادي بالاستقلال ومواقفهم الثابتة التي لم تتزعزع قد أدى على الأقل إلى إقامة اتحاد فيدرالي مع أثيوبيا. وعلى الرغم من عدم تحقيق الهدف المنشود إلا أن هذا قد اعتبر مكسبا سياسيا لا بأس به بالنظر إلى المناخ السياسي الذي كان سائدا آنذاك.

ففي يوم ٢/ ١٢/ ١٩٥٠م أصدرت الأمم المتحدة قرارا يقضي بربط ارتريا فيدراليا بأثيوبيا لمدة ١٠ أعوام وذلك كحل وسط بين مطالب الحزبين السياسيين الكبيرين في ارتريا وقتئذ وهما الرابطة الإسلامية وحزب اتحاد ارتريا بأثيوبيا (اندنت).

وقد رحب مسلمو ارتريا بهذا القرار الذي يحترم حقوق المسلمين وكفل المساواة بين

الأحزاب السياسية ترحيبا بالغا.

وعندما حل الاتحاد الفيدرالي تعرض المسلمون للحرمان من الحقوق التي كانوا يتمتعون بها فاضطروا إلى الخوض في كفاح مرير وتغيير موقفهم السياسي، وعلى ضوء ذلك قام فضيلة المفتي إبراهيم المختار مع كل من: الحاج إمام موسى، والحاج آدم قسم الله، والشيخ خبار حسن بيان والداعية إدريس محمد آدم رئيس البرلمان الارتري وقتها والسيد/ إبراهيم سلطان عضو البرلمان آنذاك للتباحث معهما حول الوضع السياسي المتدهور في ارتريا.

وبعد تبادل وجهات النظر أشاروا عليهما بمغادرة البلاد على جناح السرعة لعرض القضية الإرترية في الخارج لكونهما معروفين لدى الدول الأجنبية. ثم جرى التشاور فيما بعد حول كيفية خروجهما من ارتريا وما يتعين عليهما فعله في الخارج ومسائل أخرى تتعلق بالمسئولية الملقاة على عاتقهما وبعد حوار مكثف قبل المذكور أن كافة الاقتراحات التي طرحت أمامهما. وعندما أقدما على تنفيذ ما طلب منهما بدأ النضال السياسي ثم انتقل تدريجيا إلى الكفاح المسلح الذي فرض على الشعب الارتري أن يخوضه مما أدى إلى مواصلة نضاله المرير لمدة ٣٠ عاما حتى تطور الكفاح وبلغ إلى المرحلة التي نعايشها. وإذا كنا سنجمل القول ونصدر الحكم على نتائج الكفاح المرير وما بذل فيه من التضحيات الجسام وما تمخض عن ذلك من انتصارات فيمكن الجزم بأن الجبرتي ساهم في ذلك بنصيب كبير من البذل يستحيل انكاره.

الوعي والتصور الاقتصادي

ان التصور الذي لدى الجبرتي في المجال الاقتصادي يختلف عن تطور القوميات الارترية الأخرى وخاصة تلك القوميات غير المسلمة. ونوضح فيما يلي كيف أن هذا الاختلاف في التصور ناتج عن فلسفة عقائدية مختلفة.

اعتبارا من مطلع العصر المسيحي وحتى القرن السادس عشر وعلى وجه الخصوص في العصور الوسطى (أو ما يسمى بالعصور المظلمة) وذلك من حوالي القرن الخامس وحتى القرن الخامس عشر فان المفهوم الذي كان سائدا حيال الأمور التجارية والمالية لدى الفلاسفة المسيحيين السكولا ستين خلال هذه الفترة الطويلة كان يعتمد على منطق الفيلسوف الإغريقي أرسطو وأنه من المسلم به بأن هذا المفهوم يختلف عن المفهوم التجاري والمالي في عصر النهضة منذ مطلعه وحتى عصرنا الحاضر.

وكانت السكولاستية، وهي الفلسفة النصرانية التي كانت سائدة في القرون الوسطى وأوائل عصر النهضة، قد بنيت على منطق أرسطو ومفهومه لما وراء الطبيعة ولكنها اتسمت في أوربا الغربية خاصة، بإخضاع الفلسفة للاهوت وأن نظرتها سواء للتجارة أو المال تتلخص فيما قاله أبرز رجالها وهو العالم القديس توما الأكويني:

(ان هدف التجارة هو جمع الثروة. ولتحقيق ذلك فانه لابد من متاجرة أو مقايضة غير مشروعة للسلع. ولما كان هذا العمل يبعد الإنسان عن طريق خالقه. فان تعاطي التجارة كان غير مقبول لدى رجال الدين المسيحي. وحسب اعتقادهم أن التجارة أو مقايضة السلع تبلغ إلى أسوأ أحوالها عندما يصبح التعامل التجاري بالمال وحيث أن المال عقيم بطبيعة الحال، فانه لا ينبغي أن يكون التبادل المالي بفوائد وحسب مفهومهم كانت الفائدة تعتبر من الربا ولذلك فان الاقتراض أو الإقراض بفائدة كان محرما من الناحية الدينية).

ولما كان أصحاب الأموال لا يسمحون بإقراض المال بدون فوائد كانت المؤسسات التجارية والمصرفية تواجه عقبات كؤود (شاقه) في مزاولة أعمالها.

وقد أدى التحول الجذري الذي حدث في الدول الغربية إلى اجتثاث مفهوم التعامل التجاري الآنف الذكر من أصله. وقد حدث هذا في أعقاب اكتشاف

الأوربيين للقارة الأمريكية وكذلك عقب حدوث الإصلاح البروتستانتي في العالم المسيحي الذي قام به المسيحيون في أوروبا مما كان له أثر واضح في ازدهار التجارة الأوروبية.

وأن هذا التغيير الذي طرأ في المفهوم السابق للتجارة والتعامل التجاري قد أرغم الأوربيين المسيحيين للتخلي عن التصور الاقتصادي الذي كان سائدا وتقبل المفهوم العصري لذلك.

أما التصور الإسلامي فيأمر ويحث على ممارسة أي عمل شريف بدون تمييز شريطة أن لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية وأن يصون من التسول واستغلال الغير أو العيش عالة على المجتمع. لذا فان الجبرتي مثل غيرهم من المسلمين يكسبون رزقهم بمزاولة أي عمل شريف. وأن الكثير منهم يزالولون التجارة والحياكة في سبيل ذلك.

ان الصلوات الخمس المكتوبة التي يلتزم بها الجبرتي ويعضون عليها بالنواجذ ويحافظون على تأديتها بصورة جماعية في المساجد تزودهم بطاقة روحية مما يجعلهم يختلفون في تفكيرهم عن غيرهم ممن يتحدثون بالتقرينية. ولما كان النبي ﷺ قد وأوصى اتباعه على العمل لدنياهم كأنهم يعيشون أبدا ولآخرتهم كأنهم يموتون غدا، فعملا بهذه الوصية ترى الجبرتي يكافحون بقوة وحماس شديدين لكسب رزقهم إلا أنهم عندما يتفرغون لعبادة خالقهم فانك تجدهم يقبلون عليها بكل خشية وخشوع وذلك حرصا منهم على عدم تعرض عبادتهم لأية نواقض وسعيا لتطبيق التعاليم الإسلامية بصورة كاملة بقدر المستطاع.

وبالرغم من عدم انكارنا لوجود أفراد في المجتمع الجبرتي ممن لا يستلزمون بالأخلاق الإسلامية الحميدة في تعاملهم التجاري. فباستثناء هؤلاء فان معظم التجار الجبرتي يزاولون التجارة وفقا لما تبيحه التعاليم الإسلامية، فلا يمارسون أي

استغلال ضد الأفراد أو المجتمع ككل. وهذه حقيقة لا تقبل الجدل. وأن خير دليل لهذا هو أنه على الرغم من أن كثيراً من الأسر الجبرتية ظلت ولا زالت تمارس مهنة التجارة إلا أن أغلب الأسر ليست موسرة.

ان الأعمال التجارية يمكن اعتبارها مثل الأعمال الأخرى عندما تكون المكاسب التي يتم الحصول عليها مشروعة ومعقولة حيث لا يتم فيها استغلال الغير. ومن البديهي إن يدرك أي شخص بأن هذه التجارة التي هي أحد مجالات العمل تقدم للمجتمع فوائد كثيرة. ولذا نود أن نؤكد بأننا لا نبالغ إذا قلنا بأن دور الجبرتي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للوطن عبر مشاركتهم في جميع الأعمال، دور لا يستهان به نظرا لالتزامهم في معاملاتهم بالأخلاق الإسلامية النابعة من وعيهم بتعاليم الدين الإسلامي الذي يعتبر المكون الرئيسي لشخصيتهم وسلوكهم ومعاملاتهم.

وعليه وبناء على ما ذكرناه في هذا الكتيب فان الحقيقة التي لا ريب فيها أن الجبرتي مؤهلون لكي يعتبروا قومية مستقلة نتيجة لتميزهم بسمات وعوامل كثيرة مع الآخذ بعين الاعتبار النواحي التاريخية والموقع الجغرافي وعدد السكان والعامل النفسي والوعي والرؤية السياسية والاقتصادية.

مقدمة الكتاب

الباحث الجبرتى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. ونصلى ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك فى أن خير الأمور ما ابتدىء بذكر الرحمن وأن الله لم ينّزل آياته عبثاً أو لهواً، ولكن أنزل الله القرآن هدى وذكرى للعالمين. ولو أن الناس توكلت على الله حق التوكل لما آلت إليه الأمور على ما هى عليه الآن. ونحن إذ نقدم على طرح هذا الكتاب فقد استعنا بالله أن يوفقنا إلى الطريق الصحيح فعليه توكلنا وإليه المصير. قال تعالى: {يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} [سورة الحجرات، آية: ١٣].

لم تكن أنساب البشر أنى كانت أصولهم لتدخلهم الجنة أو لتجنبهم دخول النار، فلا يشفع للإنسان يوم القيامة حسبه أو نسبه، بل عمله إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر. ومن لنا غير خير الأنبياء والمرسلين قدوة نحذو حذوه. ونحن إذ نطرح هذا الكتيب فليس فى نوايانا التفاخر أو التعالى، وإنما هو ما رواه أبوهريرة عنه ﷺ حين قال: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإنه صلة فى الرحم محبة فى الأهل مثراة فى المال منسأة فى الأثر» رواه الطبرانى.

كما ورد عن المطلب ابن أبى وداعة رضى الله عنه قال: قام النبى ﷺ على المنبر

فقال: «من أنا؟» فقالوا أنت رسول الله، فقال: «أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم ثم جعلهم بيوتاً فجعلنى فى خيرهم بيوتاً فأنا خيركم بيوتاً وخيركم نفساً». فتأسياً بسُنته المباركة كان حريٌ بنا التعريف والتأكيد عن الهوية الجبرتية. التى هى موضع جدل، وموضعُ رسم التعجب على قوم، والاستفهام على آخرين. فكثير للأسف تحدث عن أصل الجبرتة على هواه، فالبعض الكاره تحدث عن الجبرتية بالشىء الذى يشوهه افتراءً، والبعض المحب تحدث عن الجبرتية بحماس مفرط وصل إلى حد المغالاة والمبالغة. ولكن طرحنا لهذا الكتيب كان بموضوعية تامة واستناداً إلى المراجع التاريخية وخاصة لأولئك المتلهفين لمعرفة الحقيقة الأكيدة عن الهوية الجبرتية، ورداً لمزاعم هؤلاء الذين يدعون معرفة تاريخ الجبرتة، وهم ليسوا على أدنى مستوى من العقلية كى يزعموا بالمعرفة.

لكن، ما يفطر القلب حزناً وأسى أن بعض المؤلفين لاسيما هؤلاء الذين لا يعرفون عن التاريخ الجبرتى سوى التخمين والتكهن، أن تؤلف لهم الكتب دون الاستناد إلى المراجع الموثقة أو الكتب التاريخية المعروفة. وإذ قمنا بإصدار هذا الكتيب فلقد صببنا جل اهتمامنا وتركيزنا فى الأمور التى تبين للقارىء كل ما هو دقيق عن الهوية الجبرتية. فلقد استندنا عند تأليف هذا الكتيب فيما يتعلق بتاريخ الجبرتة بكل ما له صلة بالهجرات التى قامت من الجزيرة العربية إلى القرن الأفريقى. فالجدل كل الجدل فيما يثار حول الهوية الجبرتية هو فيما إذا كان الجبر حقاً من أصول عربية؟ أم فئة من سكان الحبشة اعتنقوا الإسلام فسموا بذلك؟ أم أنهم سموا تيمناً بمنطقة تضاريسية؟

لقد احتار الكثير فى الإجابة على هذه الأسئلة فيما امتنع البعض الآخر عن الإجابة. فحاجتنا الماسة إلى معرفة الهوية الحقيقية للجبرتة جعلتنا نكسر حاجز الحيرة

والتساؤلات ونسلك طريق البحث وكان ولله الحمد أن عرفنا طريقنا بعد إذ كنا عنه تائهين وأزيلت الحيرة من على قسمات الأوجه. وها نحن إذ نوضح للقارىء هذا التاريخ الكبير والعظيم رأينا أنه من الأفضل أن نرسخ الأساس كى يثبت البنيان، فلهؤلاء الذين يودون التأكد مما هو وارد فى هذا الكتيب. فإن فى نهاية هذا الكتيب أوردنا المراجع والكتب التى من خلالها تم تأليف هذا الكتيب، وعند الانتهاء من قراءة هذا الكتيب فسوف لن يترككم حيث وجدكم. فسينقلكم من الجهل إلى المعرفة، ومن الشك إلى اليقين، ومن اليقين إلى التسليم فإنما هو غيض من فيض.

إن هذا التاريخ الذى لا نحاول الكتابة عنه، لم يكن بحاجة قط إلى أن تؤلف عنه الكتب والسير، فهذا التاريخ وجد ليكون، وكان ليظل. فهو تاريخ لا ينكر، بل أولِّف هذا الكتيب لتبطل به ادعاءات البعض، ولتصحيح الأفكار التى قد استوعبت بطريقة غير صحيحة. ولم يصدر هذا الكتيب على أساس عاطفة جياشة، أو حماس مفرط، فالله نسأل أن يثبتنا ويسدد خطانا فى إيصال ما تعلمناه إليكم بالصورة الصحيحة. فعليه توكلنا ولولا توفيقه ما كنا لنؤلف هذا الكتيب ولله نحمده ونشكره على هذا التوفيق.

الممالك الإسلامية بإيجاز

كانت هجرات عرب سواحل الجزيرة العربية إلى سواحل البحر الأحمر المجاورة لهم هجرات مستمرة فى عصور مختلفة من التاريخ، حيث كان العرب يجدون فى السواحل الأفريقية ملاجىء يفرون إليها من ظروف الحياة القاسية التى تتصف بها طبيعة بلادهم وأساليب العيش فيها، إذ كانوا يجدون فى مستقراتهم الجديدة فرصاً كثيرة لكسب الرزق باحتراف التجارة وسائر المهن البحرية المختلفة وقد استمرت هذه الهجرات قائمة حتى عهد قريب. والمتفق عليه تاريخياً أن العرب كانوا أول من توغلوا فى هضاب الحبشة لمسافات بعيدة، وقد اتخذوا من مجارى بعض الأنهار

وسيلة لذلك، وتاريخياً أيضاً اتُفِق أن العرب الأول الذين هاجروا إلى الحبشة هم الذين يرجع إليهم فضل تأسيس دولة أكسوم، ثم كانت بعد ذلك أولى الاتصالات العربية الإسلامية التى حدثت فى عهد النبى ﷺ حينما أشار على الصحابة بالهجرة إلى الحبشة بعد أن شاهد الأذى الشديد الذى يلحق بهم، وطلب منهم الهجرة بقوله: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه».

ولم تكن الحبشة حينما خرج المسلمون إليها تتمتع بحكومة مركزية وإنما كان نظام الحكم فيها فى أيدى حكام الولايات أو الأقاليم، وكان كل منهم يطلق على نفسه نجاشى، النجاشية «ملك الملوك». وكان النجاشى الذى جاء المسلمون فى عهده هو صاحب الولاية على أحد الأقاليم الواقعة شمال الحبشة. ويستدل من كتاب عرب فقيه «فتوح الحبشة» أنه النجاشى أحمد. بيد أن أول احتكاك بين الدولة العربية الإسلامية والحبشة كان فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أرسل أسطولاً صغيراً لغزو الحبشة فى عام عشرين للهجرة تقريباً بقيادة علقمة بن مجزر المدلجى، وباءت تلك الحملة بالفشل. وطوال تلك العصور التالية زاد الوجود العربى الإسلامى بطريقة سلمية فى الحبشة وشرق أفريقيا، خاصةً فى أرخبيل دهلك المواجه لمصوع على الساحل الصومالى.

وقد أخذت صلة العرب تتوطد بالحبشة على إثر الهجرات التى تتابعت بعد ذلك خاصة بعد أن تمكن العرب من الاستقرار فى بعض سواحل البحر الأحمر وتأسيسهم لبعض المراكز التجارية التى أصبحت وسيلة لتوغل كثير من الجماعات الإسلامية داخل الهضبة الإثيوبية، وعندما اشتدت الهجرات العربية على سواحل البحر الأحمر الجنوبية الغربية بدأت تظهر إمارات إسلامية. كان العرب وبفضل موقعهم الجغرافى

وبحكم مهارتهم البحرية سيطروا على موانئ البحر الأحمر والمحيط الهندى وبذلك تمكنوا من إنشاء أول دولة إسلامية بالحبشة وأطلقوا عليها تسمية «سلطنة شوا» وذلك فى عام ٨٩٦ للهجرة وقد قامت هذه الدولة فى وسط إثيوبيا وفى قلبها وفى بقعة من أخصب بقاعها وهى شوا «حيث تقع أديس أبابا حالياً» وأنشأ هذه الإمارة جماعة من بنى مخزوم، وكان لهذه السلطنة إطلالة ضئيلة على العالم الخارجى بحكم بعدها عن شواطىء البحر الأحمر وموقعها فى قلب البلاد. وهذا يوضح السبب وراء جهل العالم الإسلامى بهذه السلطنة القديمة والتى حكمت قرابة أربعة قرون وذلك من سنة ٢٧٣-٦٨٤ هجرى. وقد نشأت إلى الشرق منها إمارة إسلامية فتية هى إمارة إيفات والتى ضمت سبع ممالك كانت قد استطاعت بعد عدد من الحروب أن تقضى على مملكة شوا الإسلامية وتضمها إلى أملاكها سنة ٦٨٧ للهجرة. وبضمها أصبحت إيفات لها السيادة بين الإمارات الإسلامية كلها فى الطراز الإسلامى. وقد ورد فى كتاب المقريزى «الإلمام بمن فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام» أن بلاد الزيلع تنقسم إلى سبع ممالك، وهى إيفات ودوارو وأرابينى وهدية وشرخا وبالى وداره.

أما هذه الإمارات فقد كانت أقوى إمارات الطراز الإسلامى هى إمارة إيفات «وفات» وكانت أكثرها عسكراً وأقربها إلى مصر «وكانت زيلع إحدى مناطقها يفد إليها التجار فيرحب بهم أهلها» وكانت مركزاً مهماً من مراكز التبادل التجارى لمنتجات داخل الحبشة ودول البحر الأحمر، والإمارة الثانية هى إمارة دوارو، والإمارة الثالثة هى إمارة أرابينى، والرابعة هدية والتى كانت مركزاً مهماً من مراكز تجارة الرقيق الأفريقية، والخامسة هى إمارة شرحا، والسادسة هى إمارة بالى، والإمارة السابعة كانت إمارة داره والتى كانت أضعف إمارات الطراز. وكانت هذه الإمارات السبع خاضعة للنفوذ السياسى لملك الحبشة الذى كان نفوذه يشمل تسعة وتسعين ملكاً من حكام الولايات منهم سبعة مسلمون كانوا يؤدون له ضريبة سنوية من المال والقماش وغيره.

الموقع الجغرافى لمملكة إيفات

قبل البدء فى التحدث عن مملكة إيفات، يجدر بنا أن نذكر أن مملكة إيفات هى إحدى الممالك السبع التى كان يطلق عليها بممالك الطراز الإسلامية والتى كان يطلق عليها أيضاً اسم الجبرت وحيث إن موضوع هذا الكتيب هو التعريف عن الهوية الحقيقية للجبرتة، رأينا أن نهتم بالمناطق التى كان يقطنها الجبرتة بكثافة كبيرة مع العلم أن الجبرتة كانوا منتشرين فى جميع الممالك السبع ولكن كان غالبيتهم فى هذه المنطقة، وهو الحال مع إيفات حيث كان من يقطن منطقة إيفات يطلق عليه جبرتى.

ذكر القلقشندى -نقلاً عن ابن فضل الله العمرى- أن مملكة إيفات «وفات» الواقعة بين هضبة الحبشة وخليج عدن ويقال لها جبره، والنسبة إلى جبره جبرتى.

ولتحديد موقع إيفات جغرافياً، فقد ذكر فى كتاب «تقويم البلدان» أن موقعها بين الإقليم الأول وخط الاستواء كما ورد أيضاً فى الكتاب عينه أن القياس حيث الطول سبع وخمسون درجة، والعرض ثمان درج. وقال: عن بعض المسافرين إنها من أكبر مدن الحبشة. وهى على نشز من الأرض، وعمارتها متفرقة، ودار الملك فيها على تل والقلعة على تل، ولها واد فيه صغير، وتمطر فى الليل غالباً كثيراً، وبها قصب السكر. قال فى «مسالك الأبصار»: وقال الشيخ عبدالله الزيلعى: وطولُ مملكتها «أى إيفات» خمسة عشر يوماً وعرضها عشرون يوماً بالسير المعتاد. قال: وكلها عامرة آهلة بقرى متصلة، وهى أقرب أخواتها «أى باقى الممالك» إلى الديار المصرية وإلى السواحل المسامتة لليمن، وهى أوسع الممالك أرضاً، والإجلاب إليها أكثر لقربها من البلاد. وقال فى «مسالك الأبصار»: وعسكرها خمسة عشر ألفاً من الفرسان، ويتبعهم عشرون ألفاً فأكثر من الرّجّالة. ومن مضافاتها «زيلع» وهى فرضة من فرض هذه البلاد، وموقعها بين الإقليم الأول وخط الاستواء، وقال فى «القانون»: حيث الطول

إحدى وستون درجة والعرض ثمان درج. وقال فى «تقويم البلدان»: وهى فى جهة الشرق عن إيفات وبينهما نحو عشرون مرحلة. وذكر فى «مسالك الأبصار»: أنها فى مملكة صاحب إيفات. وكما وصف القلقشندى فإنه لم يبعد كثيراً عن الصواب فقد شملت إيفات سهل زيلع وأراضى هرر، وزيلع التى لا تزال قائمة حتى اليوم وهى تقع على خط ١٩-٤٣ درجة شرقاً وخط ١٢١ شمالاً، ولا يزال نهر فولا يجرى فى سهل زيلع ومنابعه عند منطقة الحدود بين الحبشة والصومال، وقد اندثر الآن اسم إيفات وبقيت زيلع معروفة حتى اليوم، كما أن مملكة إيفات كانت تشمل ما كان يسمى بالصومال الفرنسى وهى جمهورية جيبوتى.

تعريف الجبرتى وحقيقة نسبهم وبعض عاداتهم

ذكر القلقشندى فى كتاب «تقويم البلدان» عن وفات «إيفات»: بالواو المفتوحة والفاء وتاء مثناة فوقفى الآخر، والعامة تسميها «أوفات». وقال لها أيضاً «جبره» بفتح الجيم والباء الموحدة والراء المهملة ثم هاء فى الآخر، والنسبة إليها جبرتى. فمن هنا أتى اسم الجبرتى فهو الاسم المرادف لإيفات. كما أطلق المؤرخون القدامى على مملكة إيفات اسم «ولاشما» وأطلق المؤرخون العرب على إيفات اسم «جبره» ثم اسم «جبرت». أما عن معنى كلمة «جبرت»، فهى كلمة حبشية الأصل. «أجبرت بمعنى عباد «الله» وهى جمع مفردها جبر أى عبد».

وذكر المقريزى فى «الإلمام» أن سكان ولاشما (إيفات «جبرت») يزعمون أنهم من أصل عربى قدموا من الحجاز واستقروا فى «جبرت». كما ينتسب بعض الجبرت إلى المهاجرين العرب المسلمين الأوائل الذين أشار عليهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة فى السنة الثانية للدعوة «٦١٥م» وتنتسب بعض الأسر الجبرتية إلى عثمان بن عفان ريض الله عنه الذى كان من جملة المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى

الحبشة فى الهجرة الأولى. ومن جهة أخرى كان من نتائج التبادل التجارى، بين اليمن والحجاز من ناحية والحبشة وشرق أفريقيا من ناحية ثانية، أن رحلت مجموعة من التجار العرب المسلمين إلى هذه الأنحاء واستقروا فى جبرت «إيفات» وسموا بعد ذلك «الجبرتية» وهذه المجموعة كانت من المستوطنين المسلمين الأوائل من قبيلة قريش، وذكر بعضهم أنهم من بنى هاشم من سلالة بنى عبدالدار، على حين زعم البعض أنهم من سلالة عقيل بن أبى طالب. ولعل اعتناق الإسلام من قبل الجماعات الإسلامية فى هضبة الحبشة يعود إلى صدر الإسلام أيام ازدهار إمارة بنى مخزوم العربية بمقاطعة شوا فى جنوب هضبة الحبشة ٨٩٦-١٢٨٥م.

وكانت سلطنة إيفات تشمل إمارتى عدل «زيلع» ومقديشو التى يرجّح أن يكون حاكماها عرباً تأقلموا فى البيئة الصومالية لا أن يكونوا صوماليين تأثروا بالبيئة العربية.

وإثر تتابع العصور تبنى هؤلاء الجبرتة عادات على إثرها تميزوا عن باقى القبائل الإسلامية، وأهمها تهندمهم بالزى الإسلامى العربى والذى يتكون من العمة والثوب والمئزر «القابى»، ومن هذه العادات التى كانت ولازالت يمارسها الجبرتية الأدعية التى يدعون بها فى مراسم الزواج والتى هى أقرب إلى كونها أناشيد وهى ترديدهم لمنظومة «صلوا على بحر الصفا المصطفى ﷺ»، وفى المآتم فهم يقومون بقراءة القرآن جماعة وتحديداً سورة يس ويدعون الأدعية الشرعية للترحم على الميت. وكانت هذه العادات سبباً فى تمييز المسلمين لبعضهم عن غير المسلمين.

ومن خلال الأنباء التى وردت فى التراجم والأخبار والكتب التاريخية القديمة، فجميعها أن الجبرت هم من أصل عربى. وهو أمر لم يكن هذا التاريخ بحاجة قط أن يكتب عنه، لكن إصدارنا لهذا الكتيب كان من باب التذكير فقط، لأنّ الذكرى تنفع المؤمنين.

الجبرتى

لماذا لا ينتمى الجبرتيون إلى قبيلة؟

فى بلاد مثل السودان أو اريتريا أو الصومال أو اثيوبيا أو غيرها من البلدان العربية نجد الإنسان يعتز بقبيلته أو بعشيرته أو بجماعته أشد الاعتزاز لانتمائه إليها، ومن المعروف والمألوف كذلك أن نجد المرء نفسه مفرداً لا ينتهى إلى قبيلة أو رهط أو عشيرة مثل البلاد التى غمرتها الحضارات زمناً طويلاً وبعد فيها عهد البداوة والفطرة، وأصبح الإنسان الذى يعيش فى تلك المدن ينتسب إلى مكان الذى ولد وعاش فيه لا إلى القبيلة أو الجماعة أو العشيرة، ومع ذلك نجد الآلاف من الناس الذين لا قبيلة لهم ولا عشيرة، وذلك نتيجة لتحضرهم، ومن الجائز أن نرجع هذه الظاهرة إلى سببين رئيسين، أولهما:

ما تعرضت له طائفة الجبرتين وغيرهم من الشعوب للحروب الداخلية والصراع الدينى، والذى أدى بهم إلى الاضطرابات والهجرات المتتالية فى أزمان مختلفة، وفى عدة عصور مما أدى إلى تفكك الوحدات وتشريد بعض الجماعات كما هو الآن:

والسبب الثانى: ولعله أهم وهو التحضر فإن الاستقرار ببعث على تقوية الرابطة بين الشخص وبين المكان الذى يقيم فيه فتنقطع الصلة بمرور الزمن بينه وبين وطنه الأصلى وعشيرته التى ينتمى إليها أو بين جماعته، ولا يمض زمن طويل حتى يكون الشخص ينتسب إلى البلد الذى أقام فيه لا إلى قبيلته، وهكذا نجد أن هؤلاء الأفراد أو الآلاف المؤلفة من بنى البشر فى المغمورة ولا ينتمون إلى قبائلهم، وقد يكون هؤلاء الجبرتين من المهاجرين العرب الذى اختلطوا مع السكان الأصليين بعد

ظهور الإسلام أو من الحاميين الذين غمرتهم الثقافة العربية مثل بعض السودانيين أو الارتريين بحكم دخولهم فى الإسلام أو الاثيوبين القدماء فى عصر مملكة اكسوم، كما ورد فى كتب التاريخ، قبل الإسلام أيام الدولة الحميرية فى اليمن وعلاقاتها بدولة اكسوم، ومثل هذه الظواهر تعادل تماماً ما حدث فى مصر ذاتها، بل وفى سائر البلدان المجاورة لجزيرة العرب فى شرق أفريقيا بصفة عامة.

وهناك أبناء شعوب كثيرة فى أنحاء العالم فمثلاً أبنا دول «كمونولث» الذين عاشوا فى بريطانيا وبخاصة أبناءهم لا ينتمون إلى عشائرهم أو جماعاتهم ولا إلى بلدان أبائهم الأصلية، وإنما ينتمون إلى المكان الذى ولدوا فيه، ومثلهم كذلك أبناء الشعوب الإسلامية. الذين وفد أباؤهم إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج كل عام ثم أقاموا بها كل أولئك وهؤلاء لا ينتمون إلى العشيرية أو القبيلة بل إلى المكان الذى ولدوا فيه وبذلك أصبحوا جزء لا يتجزأ من أهل المدينة أو البلدة.

ولقد اكتسب عدد كثير منهم على حصول الجنسيات البريطانية والأمريكية والسعودية ومن بينهم الجبرتيين طبعاً.. هذا ما عدا الجبرتيين الذين هم من أصل السكان فى المملكة والذين يقيمون فى البادية أو القرى مثل بلدة «الذيبه» وفى وادى قديد وفى وادى خليص وفى قرى مدينة الطائف فى بلدة طريف وغيرها من البلادن وهؤلاء الجبرتيين جزء لا يتجزأ من تلك القبائل التى تعيش فى المملكة وعددها يزيد على ٢٩٠ قبيلة، وأما الجبرتيون المقيمون فى كل من مكة والمدينة وجدة وغيرها من المدن وهؤلاء ينتسبون إلى المكان الذى ولدوا فيه وهم كثيرون منهم المطوفون وعلماء وقضاء وتجار وأصحاب حِرف مختلفة وهم يتمتعون كالمواطنين سواء بسواء فى الحقوق والواجبات.

كما نزح الجبرتيون كغيرهم من أبناء آسيا وأفريقيا إلى المملكة وذلك نتيجة لما تعيشه المملكة من ازدهار اقتصادى وعمرانى وهم غالباً من العمال وأصحاب المهن وهؤلاء

جاء بعضهم فرادى وبعض منهم جاء واصطحب معه أسرته وهم يعيشون فى شتى أنحاء المملكة وأغلبهم فى مدينة الرياض وجدة ومضى عليهم أكثر من ثلاثين عاماً أو يزيد كما حضر إلى المملكة بعض الخريجين من أبناء ارتيريا ومنهم من ذوى المؤهلات العلمية ويعملون كأطباء وموظفين فى البنوك والمؤسسات المختلفة ومدرسين.

ومن الجدير بالذكر هنا بدأت هجرات أخرى إلى قارات العالم منذ أعوام قليلة إلى أستراليا وكندا وأمريكا الشمالية وفى بعض دول الاسكندنافيه وبلدان أوروبا مثل ألمانيا وإيطاليا. وهذا إن ذل فإنما يدل على ظروف وأحوال الأفراد والجماعات، مما اضطرهم إلى الهجرة وفى رغبة جامحة للعيش فى مكان يرتاح له بال الإنسان. ومتى وجد الإنسان ضالته استطاع أن يتكيف مع المجتمعات الجديدة.

وهكذا عرف الإنسان من قديم الزمان للعيش فى أمن وأمان وهما مستلزمات الإنسان المتحضر فى كل العصور.

«حديث وحوار مع شاعر جبرتى فى المملكة العربية السعودية»

فى عام ١٤٠٣هـ هجرية وذات مساء كنت أستمع إلى المذياع، ولفت انتباهى صوت المذيع عندما قدم إلى المستمعين الشاعر محمد بن شريف الجبرتى، فى مساجلات شعرية بينه وبين شعراء آخرين، ومن يومها كنت أحاول أن اتصل به للتعرف عليه، ولعله يفيدنا عما أنا بصدده والقيام به لجمع المعلومات بالنسبة للجبرتيين المقيمين فى المملكة، وفعلاً بعد مرور وقت غير قصير تمت المقابلة بينى وبينه فى منزل الأخ «عبدالعزيز عبدالله الجبرتى» من أهالى خليص والذى يعمل فى البرق والبريد والهاتف بجدة وكان يوم الخميس ٢٩/ ١/ ١٤٠٤ وقدمت له نفسى، ثم طلبت منه الإذن للإجابة على أسئلتى عن الجبرت والجبرتيين فى ربوع المملكة، وأين يقيم أكثرهم وكم يبلغ عددهم وهم قبيلة أم عشيرة.. إلخ؟

السؤال بالتحديد:

تذكر لنا كتب التاريخ القديم منها والحديث ان الجبرت أصلهم من قريش وجدهم عقيل بن أبى طالب. نزحوا من الحجاز إلى شواطىء البحر الأحمر منذ زمن بعيد واستقروا فى بلدة «ايفات» جبرت والتى تقع قرب زيلع وأسسوا ما يشبه دولة أو امارة ضمن الإمارات السبعة.

فهل الجبرتيين المقيمين فى المملكة جاءوا من تلك الأماكن وإذا كان ذلك كذلك متى كان؟ وهل كانت هجرة واحدة أم عدة هجرات؟

الجواب للسؤال الأول:

نعم فى أسئلتك الكثير من الصحة والحقيقة، وأن جدنا هو «عقيل ابن عم الرسول» -ﷺ- وآمنا بدوية هكذا يقال، وجدنا كان له قصر كبير فى مكة وفى أيام حكم «سعود الأول» لكنه لم يكن يعترف بأنه شريف أو سيد وكان يقول الناس كلهم أبناء آدم وحواء وكان متواضعاً إلى حد كبير هكذا نسمع من آبائنا وهاجر جدنا من مكة واستقر فى «وادى سايا» الذى تسكنه قبائل بنى سليم حتى الآن، وكان بينهم وبينه حلف وعهد فى الخير والشر، وأصبح لدينا أملاك كثيرة من مواشى ومزارع وأشياء أخرى وكلها أصبحت تدعى باسم واحد «جدنا الجبرتى» وتم التزاوج بيننا وبين قبائل بنى سليم لكن نحن نأخذ منهم ولا نعطيهم بناتنا.

والجبرت المقيمين فى المملكة هم عرب أصلاً وقد يكونون من الذين عادوا إلى جزيرة العرب ولا أستطيع أن أحدد لك متى كان ذلك، ونحن لا ننتسب إلى قبائل بنى سليم، وكان أجدادنا يذكرون لنا بأننا من أبناء عقيل وأن اسم الجبرت ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- جبرت عقيل وهؤلاء من مكة وهم أشراف.

- وقسم ثانى جبرتى أحمد.

- وقسم ثالث جبرتى من شواطىء البحر الأحمر.

وقد يكون صومالى أو من مسلمى الحبشة بعامه وغيرهم فى أجزاء كثيرة من البلاد العربية وبخاصة فى مصر والذين يحدثنا التاريخ عنهم.

السؤال الثانى: أين يقيم الجبرتيون فى داخل المملكة وكم يبلغ عددهم بالتحديد إن أمكن؟

الجواب:

يقيم الجبرتيون أكثرهم ما بين مكة والدمام وبين مكة والمدينة فى الطريق الممتد، وبالتحديد فى واد قديد، وفى الذبية وفى واد خليص، وفى المدن تجدهم فى مدينة جدة. ومكة والطائف وضواحيها وحتى الرياض ومناطق أخرى وكلهم ينتمون إلى قبيلة وفرع من قبائل بنى سليم بحكم تحالفهم معهم من قديم، وهم جزء لا يتجزأ من القبائل العربية التى تعيش فى طول المملكة وعرضها، أما عددهم فلا أستطيع أن أحدد لك بالضبط إلا أنهم فى مقدمة القبائل.

السؤال الثالث: هل الجبرتيون قبيلة واحدة أم قبائل متعددة أم ضمن قبائل بنى سليم؟

الجواب:

نحن قبيلة واحدة ولكننا نشترك مع قبائل بنى سليم فى السراء والضراء، فمثلاً إذا حدث أى شىء ضدنا فإ قبيلة بنى سليم تهب لنجدتنا ونحن بالمثل كذلك فى كل الأوقات ومنذ زمن وحتى عهد قريب.

السؤال الرابع:

هل يمكنكم أن تذكروا لنا شخصيات مهمة من الجبرتيين علماء وشعراء وأصحاب أعمال وغير ذلك.

الجواب:

نعم.. كان وما يزال من الجبرتيين أصحاب علم ومعرفة وجاه فى أزمان مختلفة وبخاصة الشعراء منهم ولم تكن وسائل الإعلام معروفة حتى تنتشر قصائدهم وإما تحفظ فى الصدور، أما أصحاب شركات ومؤسسات وهم كثيرون ومنهم أصحاب أعمال حرة ومنهم من يقوم بالزراعة والرعى فى البادية.

وكنا نسمع عن آبائنا بأن شعرائنا كانوا يتنافحون ويتساجلون مع غيرهم من الشعراء وكان من بنى سليم أمير ومن الجبرتيين أمير واسمه «فارس» وكان من بنى سليم أميراً فى جدة اسمه «حسين بن هندى».

السؤال الخامس والأخير:

أريد منكم أن تدلونى على شخص أو أشخاص لهم دراية وافية عن تاريخ الجبرتى فى ربوع المملكة.

الجواب:

إذا ذهبت إلى بلدة الذيبة تجد شيخ لقبيلة الجبرت يمكنك أن توجه إليه ما تريد من الأسئلة. وهى تعتبر مرجعاً مهماً لأنسابهم وتاريخ أجدادهم وكيف أنهم أشادوا بماضيهم العريق من بين القبائل التى تعيش فى ربوع شبه الجزيرة العربية ويعتبرون أنفسهم فى مقدمة القبائل العربية.

الأستاذ عبدالقادر حقوس

يدَّعى أحد الباحثين في آخر الزمان
وأسميه فيلسوف آخر الزمان

إدعائه بأنه لا توجد قومية أو قبيلة أو عشيرة باسم الجبرت على الإطلاق.

ونحن بحكم أننا ننتمي إلى هذه الشريحة تحت مسمى الجبرت ولكي يستبين لهذا الفيلسوف نورد بما يأتي. انتشار هذه التسمية والذين يحملو هذا الاسم فيما يأتي:

مسلمو الحبشة

مسلمو الصومال

مسلمو اريتريا

قبائل الجبرته في السعودية

امتداد السودان والشام وفي العراق

كما وأن لهذا التسمية (الجبرت)

(أروقة)

في القاهرة رواق الجبرته

في مكة والمدينة

في العراق والشام وفي اليمن

ولكي نرد على فيلسوفنا علينا الرجوع والاطلاع على تاريخ ما سطره الأدباء والكتاب في شتى دول العالم العربي وبحوثهم كما اجتهد الكاتب الارتري عبد القادر حقوص الجبرتي في بحثه / الجبرت والجبرتيون

١) الإسلام والمسلمون في إفريقيا للدكتور عبد الرحمن زكي

٢) كتاب الإسلام في إثيوبيا للدكتور زاهر رياض

٣) كتاب التاريخ الإسلامي لأستاذ حسن الخضري

٤) سيرة ابن هشام

٥) كتاب بين الحبشة والعرب صفحة ١٥٦

٦) الرحالة العربي المقريزي

٧) الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة هذا غيض من فيض

وعلى ما سبق ذكره من أن هذه التسمية واقعة لا محالة رغم أنف الحاقدين أمثال هذا الفيلسوف الذي ظهر لنا ببحثه الجديد وفي آخر الزمن بقوله لا يوجد لهذا المسمى على الإطلاق؟ علينا نحن وغيرنا ممن ينتمون لهذا الاسم الرد مستندين على وقائع وبحوث تاريخية من مصادرها الحقيقية والباحثين والكتاب الذي لا ينتمون لهذه التسمية ألا أن باحثا واحداً وهو الأستاذ عبد القادر ارحقوص الجبرتي كتب وفق وكتيباته التي تثبت بحقيقة الأمر الواقع ولقد استقاها ممن سبقوه من المؤرخين الذين ذكرنا جزء منهم من الأدباء والكتاب والباحثين

فماذا عسانا نقول لكل الذي ذكروا واثبتوا في بحوثهم عن الجبرت في كل مكان وفي هذا الوقت بالذات. ولقد قرأت في إحدى المقالات عن جماعة وهم طلبة الأزهر الشريف لم يصحبهم بتسمية رواق الجبرت بالأزهر يريدون أن يقرو هذا العنوان الشامخ الراسخ وربما يريدون تغير شارع الجبرتي ايضاً لحقدهم الدفين ولكن طيب أملهم شيخ الأزهر وقتها وصدهم صدوداً. والآن وبعد نيف من الزمن ظهر لنا فيلسوف آخر الزمان ينكر إسم هذه القومية العريضة (الجبرت) نحن الذين نحمل اسم الجبرت فهي (علم على

رأسه نار) فمن أراد المساس بهذا الاسم سيحترق قلمه قبل شخصه إذاً نحن الجبرت أياً كانت جزورنا عربياً أو غير عربية فينا جزوره عربية كما تذكر دراسات الباحثين وفينا غير ذلك لأن الهجرات للشعوب كانت كثيرة كما تذكر الدراسات.

(البيت ودور الأسرة في صلة الرحم)

في صباي الباكر أذكر جيداً أن الوالدة ـ رحمها الله ـ كانت كثيرا ما تصحبني معها في زياراتها للأقارب سواء داخل المدينة التي نقطنها أو خارجها وهي في هذه الزيارات لا يعنيها كثيراً إن كانت هناك مناسبة أو غير مناسبة.. ولعلي وأنا في هذه المرحلة من العمر قد وعيت الدرس تماماً وما كانت تهدف من ورائه الوالدة حيث كان حصاد غرسها الطيب ثماراً احسب إنها أتت أكلها تواصلاً امتد الى الآن..

ان حديث المصطفى ﷺ (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) يجعلني أدلف الى دور الأسرة في تحقيق الترابط الذي يجب ان يكون والذي يبدأ حقيقة من نقطة الرحم مبدأ الخلق ومنشأة.. ولقد حرص ديننا القيم وحث على الترابط والتراحم لينشأ مجتمع متماسك تحفه المحبة والمودة.. مجتمع لا يعلوه صدأ الشحناء والبغضاء.. وهكذا ومن خلال بساطة أهلنا في إيصال الدروس المجانية عشنا الزمن الجميل الذي نعتز بالانتماء إليه ونتفيأ ظلاله الى الآن.. زمن ليس شبيهاً بهذا الزمن الأغبر الذي تلونت فيه كل الأشياء وغدت مسخاً مشوهاً حيث تباعدت المسافات وتقطعت السبل بالناس حتى أنهم باتوا لا يعيرون اهتماماً بانتماءاتهم وغدا الترابط بل والتعارف شيئاً من الماضي في عرف قلة من شبابنا وشيبنا اليوم..

ان التراحم ووسط مجتمع متماسك تحفه المودة هو في الأصل من الطاعات التي حثنا عليها الإسلام.. ونتاجه ثمرة من ثمار الإيمان بالله واليوم الآخر فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله

واليوم الآخر فليصل رحمه (متفق عليه).. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله خلق الخلق إذا فرغت منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك لك).

وقال رسول الله ﷺ: أقرأوا ان شئتم (فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين يلعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها) (سورة محمد). رواه البخاري ومسلم.

ومن سورة الرعد الآية (٢١): (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب). (صدق الله العظيم)

وقد حذرنا ديننا القويم من القطيعة التي هي مصدر كل بلاء وشقاء فإن هذا يدعوني للعودة مرة أخرى لصلب الموضوع وهو الأسرة ودورها في زرع هذا المبدأ الجميل.. وهنا ـ وبكل تواضع ـ أضع إحدى تجاربي الشخصية، فمن الفوائد التي تعين أفراد الأسرة في الترابط أن تضع كل أسرة (شجرة عائلة) يتم تحديثها دائماً بالضيوف الجدد الذين يحلون على الأسرة وذلك في سجل يسهل الرجوع إليه من قبل الأبناء والأحفاد على السواء.. وبذلك يتحقق تذويب المسافات التي باعدت بين الذي في الشرق وذاك الذي في الغرب كما هو حادث الآن حتى أنه أصبح ذريعة يحتج بها البعض في إلغاء كل ما هو جميل.

إن الحديث عن الرحم وضرورة صلتها لا ينقطع فهناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على هذا المبدأ الخيّر الذي أتمنى ان يعم لتنهل من فيضه الأجيال... ولكن حسبي أن أشير إليه بهذه الكلمات القليلة تذكيراً لإخواني من قراء مجلتنا الحبيبة (الرسالة) مع دعواتي لأبي عبد الرحمن الذي كان له الفضل بعد الله في إنشائها، وعلى القائمين بأمرها، داعياً الله لهم بالجزاء الأوفر والمثوبة من لدنه سبحانه وتعالى.

سراج محمد نور

الرد على رسائل

حول

من هو الجبرتي

للكاتب الأستاذ

عبدالقادر حقوس محمد

الجبرتي

الرد حول العنوان

نحن لا نفرض عليك عنواناً بعينه وإنما نجعلك تختار منه ما تشاء وبكامل حريتك كما يحلو لك وبمحض إرادتك.

وهو كما يلي:

أ- الرد الواضح لصاحب الرسائل القادح.

ب- الرد الموفور لصاحب الرسائل المغرور.

ج- الرد الأبلج لصاحب الرسائل الأهوج.

الكلمة	معناها
القادح	الطاعن فى النسب
الموفور	الشىء التام
الأبلج	المضىء المشرق
الأهوج	المتسرع الأحمق

الافتتاحية

بسم الله

الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

بسم الله

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

بسم الله

الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء.

بسم الله

الله أكبر من كل مفتر متكبر جبار عنيد.

بسم الله

ونعوذ باله من آفات الكلام الباطل.

بسم الله

ونعوذ بالله من آفات السكوت عن الحق ولأن الساكت عن الحق شيطان أخرس. والمتكلم بالباطل شيطان ناطق.

اللهم اجعلنا من الذين كفوا ألسنتهم وأقلامهم عن الباطل وأطلقوها فيما يعود بالخير والنفع العميم للإسلام والمسلمين.

اللهم علمنا ما جهلنا وأنفعنا بما علمتنا إنك على كل شىء قدير وبالإجابة قدير،،

تقديم

وخير ما نبدأ به الكلام قول رسول الله ﷺ:

«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

فاللسان والقلم إذا استعملا فى جمع الأمة ونشر الخير فهما أداتان نافعتان للإسلام والمسلمين. وإذا استعملا فى تفريق الأمة الإسلامية فهما أداتان ضارتان مدمرتان للفرد والمجتمع بل للأمة بأسرها.

والإنسان العاقل والباحث الأمين ينبغى عليه أن يلتزم بالصدق والأمانة العلمية. وأن ينسب كل قول إلى قائله. ولهذا سأل الصحابى «عقبة بن عامر» رضى الله عنه: قال يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وأبك على خطيئتك» صدق رسول الله ﷺ.

بحث فى كتاب
عن الجبرت والجبرتيين

بقلم:
عبدالقادر حقوس محمد الجبرتى

من هو الجبرتى؟

لقد تم الاتفاق بالإجماع بين علماء التاريخ وعلم الاجتماع فى «العالم العربى والإسلامى» بأن كلمة الجبرتى إنما تطلق على عموم من يقيم من المسلمين فى القرن الأفريقى وبخاصة فى أثيوبيا والصومال وأرتريا وهكذا جرى العرف بين الناس منذ عدة قرون: الدليل الأول: إن الأزهر الشريف وضع بنايات وسماها أروقة يقيم فيها طلاب العلم الوافدين إليه، فمثلاً رواق المغاربة يشمل أبناء الشمال الأفريقى - ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، ومثله كذلك رواق الشوام ويقيم فيه كل من أبناء لبنان، سوريا، الأردن، فلسطين: رواق الجبرت كذلك يشمل كل من اثيوبيا، ارتريا، الصومال، وذلك طبقاً لمجاورة تلك البلدان وكما جاء فى القاعدة الأصولية «ما قارب الشىء يعطى حكمه» وكل الذين يتخرجون من الأزهر الشريف يحملون اسم الجبرتى مثل المتوفى مفتى الديار الأرتيرية العالم الجليل إبراهيم المختار أحمد عمر الجبرتى وله عدة مؤلفات موجودة فى دار الكتب المصرية تحمل اسمه وغيره من العلماء من سبقوه أو تخرجوا بعده. وكما يوجد فى مكة المكرمة والمدينة المنورة مثل ذلك وإن كان بأسماء مختلفة مثل أوقاف الجبرتة وحتى فى اليمن وفى بلدة «زبيد» كان لهم مكاناً خاصاً بهم يسمى باسم الجبرتة وذلك منذ فترة غير قصيرة.

وللحقيقة نقول ونذكر كما حدث منذ تأسس «مدينة البعوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى عام ١٩٥٩» لا يتقيد الطالب بذكر اسمه عند كتابة ملء الاستمارة بأنه ينتسب إلى رواق الجبرت بل يكتب اسمه واسم بلده لأن الأزهر أصبح مكاناً أثرياً لا يدرس فيه وبالرغم من ذلك مازال رواق الجبرتى بالأزهر موجوداً وباقياً كغيره من الأروقة حفاظاً للتاريخ.

الدليل الثانى: إليك ما كتبه المؤرخون فى شتى العصور قديماً وحديثاً:

أ) ما كتبه القدماء عن الجبرت أو الجبرتى نذكر على سبيل المثال لا الحصر «كتاب بين الحبشة والعرب» للأستاذ/ عبدالمجيد عابدين اقرأ فى صفحة ١٥٦ عن كلمة الجبرت عن لفظها ومعناها ودلالتها وعن الموقع والمكان بالتحديد.

ب) كتاب بعنوان «الحبشة» تأليف الأستاذ/ حسن محمد جوهر اقرأ فى صفحة ٥٦-٥٧ لتتأكد من هم الجبرت وإلى من ينتهى نسبهم؟

ج) بالإضافة إلى ما ذكرته مثل «ابن فضل الله العمرى» والرحالة المغريزى، ولصاحب الفضيلة الشيخ عبدالرحمن ابن حسن الجبرتى المصرى العالم الجليل والكاتب الكبير الفقيه والفلكى والذى تعتبر كتاباته مرجعاً مهماً لتاريخ مصر الحديث كل أولئك الذين كتبوا عن الجبرت يثبت عكس ما تدعيه وتستدل به فهو حجة ورد عليك ولا يختلف فيه اثنان إن كنت تفهم كما يفهم الناس للحقائق الثابتة والأدلة الدامغة.

وأما ما كتبه المؤرخون فى عصرنا الحاضر فهم كثيرون وإليك بعضاً منهم وهم أساتذة فى مادة التاريخ بالجامعات المختلفة:

أ) «كتاب الإسلام والمسلمون فى أفريقية» للأستاذ/ عبدالرحمن زكى فى معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة اقرأ الفصل الرابع عشر من ص ٢١٩-٢٣٢ اقرأ لتعرف من هم الجبرت ومن هو الجبرتى؟

ب) «وثائق تحت عنوان التحديات المصيرية لكفاح شعب أرتريا» للأستاذ/ حامد صالح تركى وما نقله من كتاب معجم البلدان للمسعودى صفحة ٨٠ عن الجبرت ونشر الثقافة تجد فيه ما يزيل عنك الشك.

ج) «تاريخ إرتريا» للأستاذ/ عثمان صالح سبى: اقرأ فى صفحة ١١٩ كيف قام الجبرتيون بنشر الدعوة الإسلامية فى شرق أفريقية وكيف ولماذا تعارف الناس بأن تسمية الجبرت تطلق لعموم المسلمين فى القرن الأفريقى ونحن نتساءل كيف

تتجاهل بل وتنكر ما كتبه أولئك المؤرخين وهل بلغ بك الحد وتتطاول على من هم أعلم منك بتاريخ المنطق وما حولها.

يقول أبى التمام الشاعر العباسى:

إذا لم تخش عاقبة الليالى ... ولم تستح فاصنع ما تشاء

فلا والله ما فى الدين خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يا صاحب الرسائل كيف يغلب عليك جهلك على فهمك للبديهات حرام عليك أن تشكك الناس فيما ثبت عنهم بالدليل القاطع وأن تاريخ الجبرت لم يزل بفضل الله تعالى باق ويعقب من خلفا منه سلفا ولا ينال من آذاهم إلا تلفا.

وقال الشاعر:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبدا وما هو كائن سيكون

سيكون ما هو كائن فى وقته ... وأخو الجهالة متعب محزون

ج/ كلمة الباحث:

إن إطلاق كلمة الباحث لشخص ما لا تطلق على إنه كثير القراءة والكتابة بل لابد أن تتوفر فيه موهبة. والموهبة تمنح لبعض الناس ولا تمنح للآخرين. وكما إنها ليست بالاطلاع ولا بالقراءة الواسعة والمستمرة ولا بجمع المادة وترتيبها بل لابد من توافر المقدرة على البحث الذى يكتبه الباحث لأن جمع المادة وترتيبها شيء وتفسيرها وإبراز أهميتها شيء آخر. وهذا هو الصعب فى إعداد الرسالة أو الرسائل، ومما لا شك فيه أن الحقائق شيء لا يختلف فيه اثنان وأما فهمها وتفسيرها شيء قابل للاختلاف وليس أمر حتمى لا يقبل النقاش.

والباحث إذا لم يكن ممتوحاً هذه المقدرة فلا يسمى نفسه باحثاً.

د/ أما اسمك فأنت سعيد بن صالح عبده الأرتيرى

سؤال: إن كلمة «بن» هذه إما تطلق على أسماء لأبناء الحضارم ولأنهم يستخدمونها أكثر من غيرهم فى شبه الجزيرة العربية ولا يوجد فى أرتيريا من يستخدم تلك العبارة.. اللهم إن كان أبوه حضرمياً.

هـ/ وأما كلمة الأريترى:

تدل على انتماء لبلد بل وكل إنسان يولد فى أرتريا من أم ارتيرية وأب يمنى أو سودانى أو صومالى أو العكس.. إلخ من الجنسيات له الحق أن يقول فلان الفلانى الأريترى.

وأنت من الذين يعتزون ويتباهون بقبيلته وعشيرته فلماذا لم تذكر اسم قبيلتك أو عشيرتك وتقول مثلاً سعيد صالح عبده المنسعاوى أو الدنكلى أو البلوى أو بليناوى أو منفراوى أو سهاوى أو إذا كنت من فرع قبائل «بجة» تقول بنعمراوى أو حدارباوى أو حباباوى أو مارياوى أو بيت معلاوى أو هدندوى أو قل حتى بازاوى أو بار ياوى.

والحق كل الحق لكل إنسان يولد فى أرتريا أن يقول فلان الفلانى الأرترى. ولا خلاف فى ذلك.

الرد على مقدمتك المضللة

إن من أعجب العجائب وأغرب الغرائب أن تبدأ بحديثك بالحمد لله والدعاء والثناء على الله تعالى وتذكر الآية القرآنية الكريمة التى تدعو المؤمنين بأنهم أخوة وتقول فيما تقول إن رابطة أخوة فى الإسلام أفضل وأقوى من رابطة الدم. كل ذلك جميل منك ومقبول. ولكن ومما يؤسف له حقاً أن تجعل العبارات القويمة غطاء لأغراضك الدنيئة وأهدافك الخبيثة كما يقول الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز {ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قبله وهو ألد الخصام}

[سورة البقرة: الآية رقم ٢٠٤]، ومما لا شك فيه أن القارىء اللبيب لا ينخدع ولا ينطلى عليه ذلك الأسلوب الساقط ولا له تأثيراً فى قلوب أفئدة الناس ولأنه مبنى على المهاترات ثم تطلب من كل الناس أن يبحثوا عن الحقيقة وأن يبحثوا كذلك عن أصلهم. ألم إقرأ قول الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه حيث يقول:

الناس من جهة التمثيل أكفاء … أبوهم آدم والأم حواء

فإن يكن لهم فى أصلهم شرف … يفاخرون به فالطين والماء

وثق تماماً لا يوجد إنسان عاقل فى هذا الوجود ينسب إلى غير أبيه اللهم إلا إذا كان ابن الزنا وهو الذى لا يعرف أباه وأخذ يبحث عنه فى كل مكان. نعم القلم جميل حين يعبر عن أفكار صاحبه ويترجم ما فى قلبه عن صدق وأمانة وهذا ما يجب أن يكون عليه صاحب القلم وما ينبغى عليه أن يكون أى كاتب أو باحث عفيف وشريف. وأما إذا أبعد عن الصدق فيما يكتب ويزيف الحقائق فقد هوى بنفسه إلى الحضيض دون أن يدرى وتلك هى الطامة الكبرى والعياذ بالله.

وقال عليه السلام:

«لا يزال الناس بخير ما لم ينحاسدوا، وقال لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه ويبتليك»، وكما قال الشاعر فيمن يحسد الناس:

ألا قل لمن بات لى حاسداً … أتدرى على من أسأت الأدب

أسأت إلى الله فى خلقه … إذا أنت لم ترض لى ما وهب

فجازاك منه بأن زادنى … وسد عليك وجوه الطلب

وكما قيل لا يستطيع الحسود أن يغير حال المحسود، فالحسود لا يسود

وقال الشعر فى هذا المعنى:

ومكتسب ذكراً مجيداً لنفسه ويكره أن يرقى سواه إلى المجد
يضايقه ذكر النجاح لغيره ولو كان ذاك القوس من عرق الجهد
وتحمر منه العين إن نلت رتبة وحمرتها يزرى دم الثأر والحقد
إذا رأى منك المحاسن لفها وأدرجها كالميت فى ظلمة اللحد
وإن هو ألقى سواه فى دق طبله وطاف بها سوق المهازل والجد
ويفرط إن تثنى عليه وفعله نفاق وأما قوله كذب يزدى

١) أن من يقرأ رسائلك..

ويتأملها يخرج منها بانطباعات عديدة ومن أهمها عدم معرفتك ودرايتك لما تكتبه من معلومات تاريخية سطحية من هنا أو هناك ويجب أن تعلم أن للتاريخ رجاله ولعلم الاجتماع أقطابه وللاقتصاد كذلك وللسياسة ميادينها بل ولكل فن له اختصاصاته فمن أنت من أولئك وهؤلاء..؟

ففض الطرف إنك من نكيد فلا أدباً بلغت ولا علوماً

٢) إن من يقرأ رسائلك..

لا يجد فيه دليلاً واحداً تستدل به أو تستند إليه من كتب أو مراجع أو مصادر فيه رقم الصفحة أو السطر كما هو معارف بين الكتاب والباحثين.

٣) إن من يقرأ رسائلك..

وما ذكرته وحاولت فيه أو أشرت إليه لا يجد فيه القارىء الدقة التامة فى النقل لآراء ممن تتقدم كما لا يوجد فيه إضافات جديدة أو معلومات يستفيد منها القارىء ولو كنت باحثاً حقاً وكما تدعى لبدأت من حيث انتهى الآخرون.

٤) إن من يقرأ رسائلك..

يجد فيه الكثير والكثير من المتناقضات والخلط بين الحقائق الثابتة بل لا يجد فيه إلا التشويش والإنكار لما هو معلوم بالضرورة من عدة قرون ومهما حاولت لتقنع القارىء فلن تستطيع أن تبدل شيئاً لما هو معروف وثابت.

٥) إن من يقرأ رسائلك..

وما جاء فيها من جمل وعبارات لتفهم الناس بحسب زعمك ولكن هيهات علمت شيئاً وغابت عنك أشياء وكما قيل: إن عقول الرجال تحت ألسنة أقلامهم.

٦) إن من يقرأ رسائلك..

لا يجد فيها إلا المهاترة والجدل العقيم الذى لا يفيد من قريب أو من بعيد أو حتى لصاحبه كما يزعم، اتقى الله يا رجل، ولا تكن من دعاة الفرقة، وقل الحق ولو على نفسك ولا تتبع الهوى وكن كما يجب أن يكون عليه المسلم وكما دعاه الرسول الكريم -ﷺ- قائلاً: «والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويديه».

٧) إن من يقرأ رسائك..

لا يخرج بنتائج توصله إلى الحقيقة أو حتى التأثير للقارىء فيما يقرأه وعلى الباحث الكفء أن يذكر الأسباب والأحداث لما هو كائن أو يكون.

٨) إن من يقرأ رسائلك..

يلاحظ ويستنتج لأول وهلة بأنك الصادق الأمين وسيد العارفين الذى يفرض رأيه ولا يقبل الحوار أو النقاش وهذا إن دل فإنما يدل على سوء فهمك لأصول البحث.

وكما قال الشاعر:

وأخـو التكبر يستبد برأيه ... وتراه يعسف بالأمور مخاطراً

٩) إن من يقرأ رسائلك..

لا يجد فيها القارىء التوجيه أو النصح أو الإرشاد وإنما الغيبة وحد الغيبة كما عرفها الإمام أبوحامد الغزالى فى كتابه «الأذكار» الغيبة ذكر المرء بما يكرهه سواء كان فى بدن الشخص أو فى دينه أو دنياه أو فى نفسه أو خلقه أو خُلقه أو فى ماله أو ولده أو زوجته أو خادمه أو فى ثوبه أو حركته وطلاقته وعيوبه وغير ذلك، مما يتعلق به سواء ذكره باللفظ أو بالإشارة أو بالرمز أو بالكتابة.. إلخ.

نسأل الله ألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا،،

وأن ترحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين،،

١٠) إن من يقرأ رسائلك..

يحتار كثيراً، نعم يحتار ويتساءل هل المقصود من كتابة تلك الرسائل ونشرها لتنوير الناس بما يعود عليهم بالفائدة والنفع العميم كما هو المتعارف. أعتقد الإجابة بالنفى.

إذاً، ما الهدف من تلك الرسائل اللهم إلا التشويش والبلبلة وصرف الناس ماضى تاريخهم بل والتقليل من شأنهم وليس الهدف من كتابة تلك الرسائل إلا حب الظهور بما ليس فيه والذى لا يزال يسىء إلى المجتمعات فى شتى العصور إنه داء لا علاج له مثل الحماقة يسعى لطمس الحقائق وإخفائها بشتى الطرق.

وقد يكون الهدف من هذا وذاك ما يعانيه صاحب تلك الرسائل من عقد أو مرض نفسى أو اجتماعى أو ربما يكون من كتابة تلك الرسائل كراهية صارخة بينه وبين بعض الأفراد مما جعله يتطاول عليهم وليلفت أنظار الناس بفضله عليهم وإن كان ذلك كذلك فإنه يعتبر من الإعجاب بالنفس والعياذ بالله ألم يكن الأجدر لصاحب تلك الرسائل أن يكون داعياً بالحكمة والموعظة الحسنة كما يدعى فى كتاباته التى هى بعيدة عما يعتقده ويؤمن به.

وإليه نوجه هذا الحديث النبوى الشريف الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم» ومعنى الحديث أشدهم هلاكاً وقد اتفق العلماء أن هذا الذم إنما هو فيمن قال على سبيل الازدراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم لأنه لا يعلم سر الله فى خلقه، أما من قال ذلك حزناً لما يرى فى نفسه والنسا من النقص فى أمر الدين فلا بأس عليه، وقيل معناه لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساؤهم ويقول وفسد الناس وهلكوا ونحو ذلك وإن قيل ذلك فهو أهلكهم وهو أسوأ حالاً منهم بما يلحقه من الإثم فى عيبهم والوقيعة بهم وربما أو صلة ذلك العجب بنفسه وإنه خير منهم أو الحقد للآخرين والبغض لهم وذكر نقائصهم ليست من صفات المؤمن كامل الإيمان. نسأل الله السلامة،،

١١) إن من يقرأ رسائلك..

يلاحظ من ذكائك المفرط وخيالك الواسع وتتبعك لكل شاردة وواردة وتقول فيها تقول إن تلك الرسائل عن الجبرت إنما كتبت فى الخارج وليس فى الداخل ما الغرابة فى ذلك؟ المهم هو توصيل المعرفة وتنوير المجتمعات المختلفة التى يعيشون معها ذلك هو الهدف النبيل من كتابة تلك الرسائل ولئلا تكون قاصرة عليهم وحدهم.

نعم، إن معرفة تاريخ المجتمعات أو أى شعب من الشعوب إنما يزداد به الإنسان معارف ومعلومات جديدة فوق ما عنده.

لأن المعرفة بمفهومها العام والخاص تعتبر أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر. وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجمعات ولمواكبة عصر المعلومات ومن هنا برزت كتابة تلك الرسائل عن الجبرت ومن هم وما مكانتهم بين المجتمعات.

وهل كان لهم ماضى شريف وعزيز أم غير ذلك حتى نقارنه مما نحن فيه اليوم،

ولا شك أننا حين نسموا بأنفسنا وتتضافر جهودنا ونترجم واقعنا لما هو أصلح وأنفع لنا ولغيرنا ولا نعطى الفرصة لمن يجرنا فى النزاعات أو الصراعات والتى لا تجدى نفعاً عندها فقط نكون قد حققنا كل ما نرجوه ولن يستطيع المرء أن يخدم نفسه أو مجتمعه أو وطنه بقدر ما يحس به وبمكانته.

١٢) إن من يقرأ رسائلك..

يتبادر إلى ذهنه بأنك تقحم نفسك فيما ليس لك به علم فى المصطلحات اللغوية وأهل القياس، ونقول مثلاً إن كلمة الجبرت جاءت على غير قياس وهل تعلم ما هو القياس ومتى يستخدم وما قاعدته؟، كما تقول أيضاً إن كلمة الجبرت لا هى اسم قبيلة ولا هى اسم لعشيرة وإنما هى صفة لطائفة. ألا تعلم أن الصفة تبع الموصوف فى اللغة وبدون أن تدرى أثبت لهم بأنهم طائفة والطائفة هم جماعات من الناس كما ورد فى الحديث الشريف، قال ﷺ «لا تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك» رواه أبوداود وغيره، حديث صحيح.

١٣) إن من يقرأ رسائلك..

يظن أنك عثرت على المفتاح لتدخل به أبواب التاريخ وتحاسب الناس المخطئين سواء أخطأوا بقصد أو بغير قصد فيما يكتبون. من أعطاك هذا الحق وتنصب نفسك قاضياً أو حاكماً بأمره أو ناقداً لا يشق له غبار تسول وتجول على هواك وكما يحلو لك وبدون ضابط أو مقياس وتصف كل من لا يوافقك فى الرأى بأنه يعيش فى أوهام. كيف تسمح لك نفسك وتهاجم أناس أبرياء لا ذنب لهم إنهم كتبوا ويكتبون عن ماضى تاريخهم.

كيف تنساق وراء أهوائك دون فك رأو عقل ولماذا تكون كتابتك بعيدة عن الواقع وقديماً قيل إن الإنسان عدو لأخيه الإنسان يحاول دوماً أن يقضى عليه بشتى

الوسائل ليستولى على ما لديه من فكر أو مال أو جاه ويجعل شعاره الانتصار عليه سواء كان هذا الانتصار شريفاً أو وضيعاً. ورغم ذلك سيظل الإنسان كما هو مهما تغيرت ظروفه وأحواله إلا أن هناك ضوابط وقوانين وتشريعات يلتزم بها ويسير على هديها وإلا تصبح الحياة فوضى بلا نظام وبلا معنى وقد يكون ضحاياها أمم لا أفراد.

١٤) إن من يقرأ رسائلك..

بعنوان الرد على دعاة الفتنة يفكر جيداً لما جاء فيه.

ويتعجب من الخلط الواضح بين الموضوعات المتنوعة فتقول مثلاً إن الكاتب يرفض استخدام اللغة العربية فى ارتريا ما يرفض تقاليد لمسلمى ارتريا ويرفع شعار لمعاداة المسلمين كل ذلك وغيره ذكرته ولكنك لم تذكر نصاً مما قاله وكتبه لماذا؟

ثم تنتقل وبلا مقدمات أو ربط بين الأحداث وتذكر صدور المرسوم الملكى «ليوحنا» وكيف أجبر المسلمين الجبرت أباء وأجداد أولئك الذين لا يزالون يعيشون فى تلك المنطقة حتى الآن بأن أجبرهم بثلاثة أمور أما التنصير أو مغادرة بلادهم أو الموت كل ذلك صحيح وحدث بالفعل وسجله المؤرخون شرقاً وغرباً.

وتنتقل إلى موضوع ثالث عن أصل السكان فى أرتريا ومتى قدموا إليها من حامين وسامين وغيرهم ولماذا سميت أفريقية ثم تتحدث عن الإسلام ومبادئه وقيمة وتأخذ القارئ إلى الحديث عن الوطنية فى أرتريا وعن الأحزاب السياسية وكيف نشأت ومتى وماذا كان دورها ومن هم أغلب السكان فى أرتريا حالياً.. إلخ وحتى عن استخدام اللغتين التجرنية والعربية حالياً.

والقارىء ليعجز عن حقيقة تصورك للأمور وكتاباتك العشوائية المطلقة وبلا حدود وما هو أهم من ذلك أن العنوان لا يتفق مع الموضوعات التى تناولتها من قريب أو بعيد. ولقد فقدت الشىء الكثير لما ينبغى عليك أن تقوم به أو تفعله باعتبارك

واحد من المجتمع الذى تنتمى إليه لأن المجتمع كالجسد له أمراضه التى تضدنيه وكان من المفروض عليك أن تعالج تلك الأمراض بقدر استطاعتك ولكن فاقد الشىء لا يعطيه ومن قديم الأزل خلق الإنسان وخلقت معه مصائبه بدأت بسيطة ثم تنمو وتكبر كلما تقدم الإنسان، ولو كنت حقاً ممن يسعون لارتقاء الوطن والمواطنين لدعوت إلى التآخى والتقارب لا إلى الجفوة والتباعد كما يلمسه القارىء فى كتاباتك.

ولا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نذكرك بأقوال رسول الله ﷺ: عن آبى أمامه الباهلى رضى الله عنه، قال رسول الله ﷺ:

«ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا بالجدال الباطل»، ثم تلا قوله تعالى «وما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون»، ولا شك أن الأسباب الداعية على الجدال الباطل كثيرة منها:

١) الغرور والكبرياء والخبلاء.

٢) إظهار العلم والفضل.

٣) الاعتداء على الغير بإظهار نقصه وقصده أذاه.

١٥) إن من يقرأ رسائلك..

وبخاصة ما جاء فى صفحة رقم ٢٤ بأن النجاشى أغتيل هو ومن معه.. إلخ، وجاء فى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ عندما علم بوفاة النجاشى نعى أصحابه بقوله «توفى اليوم رجل صالح من الحبش فهلموا وصلوا عليه».

هناك فرق واضح بين الاغتيال وبين الوفاة.

فالاغتيال إنما يكون الاعتداء من الغير. وأما الوفاة فيمن فاضت روحه إلى باريها. فكيف تكذب على رسول الله ﷺ وأنت تعلم علم اليقين الحديث المشهور

الذى يقول: «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

ألا تعلم أن الكذب على رسول الله ﷺ هو كذب على الله تعالى بدليل قوله تبارك وتعالى: {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحىٌ يوحى} [سورة النجم، الآية: ٣ و٤].

وكما جاء فى الحديث الشريف أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان، وقيل إذا خاصم فجر».

١٦) إن من يقرأ رسائلك..

تأخذه الحيرة والدهشة وبخاصة فيما ورد ذكره عن النجاشى الذى لم يسلم من كتاباتك الجوفاء وعباراتك التى لم ترق بصاحبها إلى معارج العلياء.. النجاشى الذى سماه الرسول ﷺ بالرجل الصالح كيف تجرأ على من هم أفضل منك درجة وأعلى منك قدراً ومقاماً وذكراً. ويجب أن تعلم أن قضية إسلام النجاشى تعتبر فى نظر علماء التاريخ والسير من المسلمين حديثاً عن النبى الكريم ﷺ وكما يجب فى الحديث عنه ﷺ تحرى الصدق والصحة كما جاء على قواعد أهل العلم بالحديث. وذلك خروجاً من تبعة قوله ﷺ «من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» والباحث أو الكاتب حقاً هو الذى يتحرى الصدق والأمانة العلمية فيما يكتبه دون أن يتأثر فيما كتبه غيره من المستشرقين والمستعربين وأضرابهم وما أكثرهم فى وقتنا الحاضر ومن يحاول أن يكتب فى مثل هذا الموضوع فعليه أن يكون ملتزماً بالدقة فيما يكتب ويعتمد على المصادر والمراجع ولا يقلد غيره من المشككين الذين دأبوا على التشويش وبلبلة الأفكار فيما يكتبون ضد الإسلام والمسلمين وأعلم أن إسلام النجاشى وما ذكر عنه لم ينحصر فى كتب السير وحدها بل جاء ذكره فى الأحاديث النبوية الصحيحة وكتب الفقه الإسلامى المعتمدة دون استثناء وتجىء أنت اليوم لتقول لنا أن النجاشى لم يعلن

إسلامه لتشكك الناس بما تأثرت به من أولئك الأفافين الذين جندوا أنفسهم لمعاداة الإسلام والمسلمين.

وأفرض أن هؤلاء وأولئك يجهلون حقيقة إسلام النجاشى فقد أجمع الرواة لأحاديث الرسول ﷺ عن النجاشى وما جاء فيه وإليك بعضاً من تلك الأحاديث.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشى صاحب الحبشة يوم الذى مات فيه فقال استغفروا لأخيكم».

وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنه، أن النبى ﷺ «صلى على أصحمة النجاشى فكبر أربعا. وفى لفظ قال: توفى اليوم رجل صالح من الحبش فهلموا وصلوا عليه».. إلخ الأحاديث النبوية.

كيف تنفى وتنكر ما جاء عن النجاشى الذى لا يشك فيه أحد من المسلمين فى العالم أجمع، وتقول لم يعلن إسلامه وتقلل من قدره ومكانته، ألم يُصلِ عليه الرسول ﷺ صلاة الغائب وصلاة الغائب لا تجوز لغير المسلم ومن شروطها تكون فى جماعة يؤمهم إمام.. إلخ.

وأخيراً وليس آخراً.. كيف تسمح لنفسك أن تنهش أعراض المسلمين الأحياء منهم والأموات ولا تبالى بما تقول. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ومما لا شك فيه أن غيبة المسلم الميت أفحش وأشد من غيبة الحى. لأن عفو الحى واستحلاله ممكن بخلاف الميت فقد روى أبوداود عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال «إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تعفو فيه» وعن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان فى قلبه لا تقتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عوراته ومن تتبع الله عوراته يفضحه فى بيته».

ويقول الإمام الشافعى فيمن يتتبع عورات الناس:

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى	ودينك موفور وعرضك صين
لسانك لاتذكر به عورت أمرىء	فكلك عورات وللناس ألسن
وعيناك إن أبدت إليك معايبا	فدعها وقل يأعين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى	وفارغ ولكن بالتالى هى أحسن ودافع

ويقول أيضاً فى الإعراض عن الجاهل:

أعـرض عن الجاهل السفيه	فـكـل مـا قـالـه فـهـو فيه
مـا ضر بحر الـفـرات يوماً	إن غاص بعض الكلاب فيه

وإليك هذه المقتطفات من أقوال الفلاسفة والمؤرخين وعلماء النفس لعلها تفيدك:

إن العقول الكبيرة تهتم بالمبادىء والأهداف..

والعقول المتوسطة تهتم بالأحداث.. والعقول الصغيرة تهتم بشئون الناس

(بلا تعليق)

قال المؤرخ اليونانى «هيردوت»

ليس انتصارنا على الأعداء أن نهزمهم فى الميدان، وإنما الانتصار الحقيقى هو أن ننسيهم تاريخهم.

(التعليق)

ونحن لن ننسى تاريخنا وسنحافظ عليه مهما طال الزمن جيل بعد جيل. ما رأيك فى هذا الكلام؟

قال «فرويد» العالِم النفسانى:

إننى لا أملك أحياناً الشجاعة الكافية لاقناع الناس بأنهم على خطأ لأننى على علم بما تحدثه الدوافع البشرية والغريزية من عدوان وتدمير ينذر بقرب فناء بعضهم بعضاً وعن بكرة أبيهم.

(بلا تعليق)

هذه الأبيات مهداه لصاحب الرسائل

ظهرت لعينى الكتاباة التى فقدت رؤس الحسن كل معان

ورأيت أصرار الغواية بعدما جال الخيال كما يشاء عنات

أنت الذى يطوى المعانى معربا دوما إلى الأفاق يرتطمان

ما أعظم العلم العزيز ورثته حتى أتى بعجائب الأشجان

وإذاالهواجس كالضباب تناثرت وتكشفت مثل الحطام الفانى

دع المكارم لا تحاول كيفما لا أنت طائلها ولا الهيمان

لهفى عليك وقد بلوت مفاخرا تشدوا بها فى نشوة وأمان

الله يعلم فى النفوس غرائب كذب وصدق كيف يلتقيان

الصدق منجاة النفوس وربما هبة السماء ومنحة الديان

والناس تبحث فى المعالى ياله فى ظله العز العلى الشأن

أكتب لوجه الحق لا تعدل به ولقد جرى ما لم يجر فى الحسبان

الجزء الأول : بقلم الأستاذ عبدالقادر حقوس

حسناً.. فعل الأستاذ عبدالقادر حقوس محمد الجبرتى، أطال الله فى عمره بتأليفه كتابه المعمون «أبوالشهداء» عن الزعيم عبدالقادر كبيري، فالتاريخ الإرترى لا يزال مسكوتا عنه لمراحل مهمة سوى بعض الخطوط العريضة عنها.

وهى فترة الحكم التركى والخديوية المصرية، وفترة الحكم الإيطالى وحتى نهاية حكم الحرب العالمية الثانية واحتلال إرتريا بواسطة الجيوش البريطانية نيابة عن دول الحلفاء تلك الفترة الطويلة التى امتدت إلى قرون ابتداءً من عام ١٥٥٧م بدخول تركيا وحتى عام ١٩٤١م بهزيمة إيطاليا أيضاً أن الفترة الممتدة من عام ١٩٤١م بعد هزيمة الجيش الإيطالى ففى إرتريا وحتى ١٩٥٢م بجلاء القوات البريطانية وفرض ما سمى بالنظام الفيدرالى بين إرتريا وأثيوبيا بواسطة الجمعية العامة للأمم المتحدة وهو المشروع والمقترح الأمريكى المعروف لتأمين مصالحها الاستراتيجية فى حوض البحر الأحمر حسبما اعترف وصرح به السيد جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا الأسبق.

كما أن فترة قيام الأحزاب السياسية آنذاك حدثت بها نضالات وبطولات وشهداء لم يتم حتى الآن الكتابة عنهم وتسجيل تاريخهم وهذه صفحة مهمة من تاريخ إرتريا التى تستحق الاهتمام والبحث والتوثيق وأن من عادة المستعمرين أنهم يحتفظون فى أضابير تسجيلاتهم بأدق التفاصيل عن تاريخهم والحوادث التى شاركوا فيها خارج حدودهم وتلك التى جرت داخل بلدانهم.

أما تاريخنا وبالذات تاريخ المقاومة الإرترية ضد هؤلاء المستعمرين والبطولات التى تروى عنها شعوباً فإنها وحتى تاريخه لم يتم تسجيلها وتوثيقها، ولذا فإن المتعلمين والمثقفين الإرتريين مطالبون أن يدلوا بدلوهم بتثبيت وتوثيق هذا التاريخ قبل أن يطوى النسيان أحداثاً مهمة برحيل الزجيال التى عاصرتها وتلك التى تلتها وسمعت عنها.

كما أن تكريم الرموز الوطنية تعتبر من صفات الوفاء، لأن الشعوب الأصلية لا تعرف الجحود وأن ذلك الرعيل من رموزنا الإرترية التى غرست شجرة الحرية من حقها علينا التكريم ويكون ذلك بتسليط الأضواء على مآثرهم وتاريخهم بحيث تتناقل الأجيال هذه السير بل وتعتد بالمفيد منها.

فكيف يكون الأمر عندما يتعلق بشخصية متفردة بل ومتميزة على أقرانها بالكثير من الصفات الحميدة مثل شهيدنا الزعيم عبدالقادر كبيرى، فالشهيد عبدالقادر كبيرى لم تغرقه التناقضات الثانوية كالآخرين بل تم تركيزه منذ البداية على التناقض الرئيسى المتمثل فى الاستعمار الأجنبى وكيفية مواجهته والتغلب عليه بالوحدة الوطنية وكيفية الارتقاء بالشعب الإرترى عن طريق التركيز على التعليم باعتباره الطريق السليم فى مرحلة النضال من أجل التحرير وما بعدها.

ولذا لم ينزلق إلى مستنقع القبلية والطائفية كما حدث لبعض زعامات ذلك الزمان والتى تركت بمسلكها ندوباً فى جسم المجتمع الإرترى.

الحلقة الثانية:

توقفنا فى الحلقة السابقة عند قول أستاذنا الكبير «ولذا لم ينزلق إلى مستنقع القبلية والطائفية كما حدث لبعض زعامات ذلك الزمان والتى تركت بمسلكها ندوباً فى جسم المجتمع الإرترى» ونواصل حلقة اليوم من الجزء الثانى:

.وسيرة الزعيم الشهيد عبدالقادر كبيرى فيها الكثير من المآثر المهمة والتى تجب معرفتها واتخاذها قدوة. ومن هنا رأيت أهمية الكتابة عنه فى هذه الحلقات علها تجد المتابعة من الأجيال الجديدة ولتعرف هذه الأجيال التى تعيش حالياً فى ظل إرتريا المستقلة بأن هذا الاستقلال لم يتحقق إلا عبر ارتال من الشهداء وقبل الدخول فى ذلك علينا أن نقدم سطوراً قلائل عن الشهيد كبيرى بهدف التعريف به واستكمال

تاريخه فى الأرشيف الإرترى.

اسمه بالكامل: عبدالقادر محمد صالح كبيرى، وقد ولد فى بلدة «بورى» بأفليم دنكاليا، وتاريخ ميلاده كان فى عام ١٩٠٢م.. أما التعليم ومرحلة التلمذة الأولى، فقد تتلمذ على يد أبيه الحاج محمد صالح كبيرى ووالدته فاطمة خضر وكان هذى تقليداً معروفاً حيث كان الأباء يتولون تعليم أبناءهم فى كنفهم بالمنزل قبل انتشار المدارس وتحت رعاية والده حفظ شيئاً غير يسير من القرآن الكريم عن ظهر قلب وتعلم مبادىء القراءة والكتابة والدين الإسلامى ولما بلغ السابعة من عمر التحق بالمدارس الإيطالية وحصل على الشهادة الابتدائية وكانت هى المرحلة المسموح بها للإرتريين من قبل سلطات الاستعمار الإيطالى فى سياستهم التعليمية التى كانت سائدة.

ويعتبر الشهيد كبيرى عصامياً فقد عرف عنه النبوغ واستعطش للمعرفة وهو فى سن مبكرة من عمره، حيث واصل فى تعليم نفسه حتى استطاع إجادة اللغات العربية - الإيطالية - التجرينية - بالإضافة للغتى العفر والتجرى ومن خلال المواظبة على الإطلاع فى أمهات الكتب فقد تمكن من الإلمام بالكثير من التاريخ وعلوم اللغة العربية بصفة خاصة والتى أجادها بحيث أصبح كاتباً مرموقاً وخطيباً مفوهاً، وتؤكد ذلك كتاباته فى الصحف آنذاك وكذلك خطبه أمام الجماهير.

نشأ الشهيد كبيرى وترعرع فى مدينة مصروع وأن إقامته فى مدينة مصوع أدت إلى انفتاحه على المجتمع، حيث إن مجتمع مصوع كان شاملاً، فسكان المدينة كانوا ينحدرون آنذاك من عدة أجناس مثل العرب - الإيطاليين - الهنود - بعض الأتراك - ومواطنين من شتى أقاليم إرتريا، الأمر الذى أدى إلى انفتاحه على المجتمع الإرترى بكامله دون أن يتغلق فى دائرة ضيقة مثل القبيلة والإقليم والعشيرة والطائفة، كما فتح مداركه على عالم أوسع من الدائرة الإرترية كما أنه وعند انتقاله إلى أسمرا توسعت

دائرة معارفه وعلاقاته الاجتماعية والثقافية والسياسية.

بعد استكمال المرحلة الدراسية فقد بدأ حياته العملية موظفاً لدى الإدارة الإيطالية وقد تم تعيينه بالسفارة الإيطالية بالعاصمة اليمنية صنعاء موظفاً ومترجماً ومستشاراً وهذا أيضاً أدى إلى انفتاحه على دائرة أوسع، فإقامته فى اليمن والتى امتدت إلى سنوات مكنته أن يتعرف بمختلف الطبقات هناك من شعراء وتجار وحكام وبالتالى ازدادت معارفه ومداركه وبحيث أصبح أمله وطموحه أن يرقى بشعبه فى إرتريا إلى الرقى والعلم ومحاربه الجهل بالتوسع فى التعليم ثم بمحاربه الاستعمار ليصبح حراً مستقلاً مثل باقى الشعوب والذين تعرف بهم وجلس إليهم كثيرين عرفنا أسماء القليلين منهم وهم: سلطان الحج - حاكم حضر موت - السلطان القعيطى، ومن الأمراء الأمر إبراهيم بن الإمام يحيى حميد الدين وإخوانه.

توقفنا فى الحلقة السابقة عند قول أستاذنا الكبير: والذين تعرف بهم وجلس إليهم كثيرون وعرفنا أسماء القليلين منهم وهم: سلطان الحج - حاكم حضر موت - السلطان القعيطى، ومن الأمراء الأمير إبراهيم بن الإمام يحيى حميد الدين وإخوانه.

ونواصل اليوم حلقتنا الثالثة:

شارك عبدالقادر كبيرى أثناء عمله وإقامته باليمن فى عقد اتفاقية الصلح بين اليمن والسعودية فى مشكلة الحدود بنهما فى ثلاثينيات القرن الماضى وذلك أثناء حكم الإمام يحيى حميد الدين فى اليمن ورافق الزعماء العرب الذين حضروا خصيصاً للصلح مثل الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الأسبق والأمير شكيب أرسلان الكاتب والمؤرخ والأديب اللبنانى المعروف والسيد هاشم الأتاسى من سوريا ومما يجدر ذكره هنا فإن الأمر فيصل بن عبدالعزيز آل سعود - الملك لاحقاً - فقد كان يدعو عبدالقادر كبيرى «بالمصوعى» وكان صديقاً له ويتبادل معه الرسائل فى كل المناسبات.

مرحلة جديدة فى حياة الزعيم عبدالقادر كبيرى:

بعد السنين الطويلة التى قضاها عبدالقادر كبيرى فى الوظيفة الحكومية ضمن سفارة إيطاليا فى اليمن، فقد قرر ترك الوظيفة والبدء فى الأعمال الحرة وعليه عاد إلى إرتريا ليتفرغ للأعمال الحرة والتجارة بدلاً من التقيد بالوظيفة.

أثناء هذه الفترة أى فترة الأعمال الحرة فقد تميز الأستاذ كبيرى بقيامه بجولات خارج إرتريا للتعرف على شعوب وثقافات وعادات بل وعلى خلق علاقات وهذه الجولات وإن كانت تشير إلى شىء فكأنها كانت تشير إلى أن الأستاذ كبيرى كان يعد نفسه لمرحلة أخرى وهى مرحلة النضال من أجل قضيته الوطنية فقد كان يتسلح بالمعرفة عبر الانفتاح على عالم أوسع من ذلك انه قام بزيارة لإيطاليا وأكثر من مرة للتجارة والسياحة وهذه خطوة مهمة لأن زيارة أوروبا لم تكن مسألة سهلة ومتيسرة آنذاك.

كما قام بزيارة إلى مصر للتعرف على حضارتها ونهضتها الحديثة حسبما يروى عنه أيضاً قام بزيارة المملكة العربية السعودية مرتين لأداء فريضة الحج والاستطلاع والتعرف على مختلف ألوان وأنواع البشر الذين يأتون لتأدية هذه الفريضة من أقصى الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً كما قام الأستاذ بزيارة إثيوبيا مرتين.

أما زيارته لليمن فقد كانت لمرات عديدة باعتباره البلد الذى اغترب إليه فى مراحل حياته العملية الأولى وبحكم العلاقة المتنوعة والصداقات المتينة التى كونها هناك كان الأستاذ كبيرى كذلك يتطلع لزيارة السودان إلا أن هذه الأمنية لم تتحقق ولذا أصبحت له علاقات وطيدة بالجالية السودانية فى إرتريا وفى مقدمتهم فنان السودان الأول ومنشىء فن «حقيبة الفن» الأستاذ محمد أحمد سرور الذى أحب إرتريا وارتبط بأهلها على مختلف طبقاتهم وكان يزورها باستمرار حتى توفى بها والمدفون بمقابر الشيخ الأمين بأسمرا.

وقد خرج الزعيم كبيرى من هذه الزيارات للأقطار المختلفة بانطباعات كثيرة حددت فى النهاية برنامجه المستقبلى المتمثل فى التعليم - الحرية - الاقتصاد، وسيتضح ذلك فى الأسطر القادمة وعندما تفرغ نهائياً للعمل النضالي.

شروعه فى العمل السياسى :

بعد هزيمة إيطاليا ألفا شستيه واحتلال إرتريا بواسطة القوات البريطانية باسم دول الحلفاء الأربعة الولايات المتحدة - بريطانيا - الاتحاد السوفيتى - وفرنسا، تكونت أول جمعية سياسية فى إرتريا من كل الإرتريين على اختلاف أقاليمهم وطوائفهم تحت اسم «محبر فقر هقر» أى «جمعية حب الوطن» وكان الزعيم عبدالقادر كبيرى من المؤسسين لهذه الجمعية وتم اختياره نائباً لرئيسها حتى عام ١٩٤٦م وظل فى هذا الموقع حتى دب الخلاف بداخلها وعصف بها حول مستقبل إرتريا وعندما عقدت الجمعية مؤتمرها فى «بيت جرجيس» فى محاولة للتغلب على خلافاتها كانت الأصابع الاثيوبية قد دفعت البعض ليتبنى شعار الانضمام إلى اثيوبيا دون شروط.

وكان ذلك هو السبب المباشر فى انشطارها إلى حزبين واتجاهين متعارضين. وفى الحال عقد مؤتمر بمدينة كرن فى ٦/ ١٢/ ١٩٤٦م، حيث تأسس حزب الرابطة الإسلامية الإرترى وكان الأستاذ كبير من المؤسسين لهذا الحزب لذا تم فى هذا المؤتمر انتخابه وبالإجماع عضواً بالمجلس الأعلى للرابطة ومسئولاً عن فرعها فى أسمرا وحماسين وهذا الموقع وتلك المسئولية لم يكن بالإمكان أن يقوم بها شخص عادي، فالمعروف عن العاصمة فى أى قطر هى منطقة الوعى ومنطقة القيادة والتنوير، وهى التى تتصدر الأحداث بل وتصنها ولذا فإن اختيار الأستاذ كبيرى لهذا الموقع كان نتيجة قدرته وثقة الجميع من المؤتمرين به وبأنه قادر على تبوء هذا الموقع والقيام بأعبائه بكل اقتدار وبجانب ذلك فقد كان سكرتيراً لجمعية الأوقاف الخيرية مسخراً

جهده بداخلها لنشر التعليم.

تفرغه الكامل للقضية الوطنية منذ أن تبوأ الأستاذ كبيرى موقع الصدارة والقيادة فى الحزب الذى ساهم فى تأسيسه فقد أوقف نفسيه ونشاطه لخدمة بلاده منخرطاً فى الحركة الوطنية وبالتالى ترك المال والتجارة ووضع نفسه فى فم المدفع لكى ينال الشهادة فى الأخير بأسمى معانيها فى سبيل الأهداف النبيلة التى آمن بها وعمل بكل جد واجتهاد لتحقيقها.

إن الأستاذ كبيرى ومنذ البداية لم يعرف طريق تحقيق غايات ومصالح شخصية ضيقة من وظيفة وسلطة وشهرة وثروة، كما لم يعرف المداهنة والمساومة بالنسبة لهدفه وبالتالى كان يطرح شعار «الاستقلال الفورى» دون الحديث عن «وحدة مع اثيوبيا» أو «فيدرالية معها» أو «وصاية دولية» كما كانت له شعارات وهى بمثابة مبادىء ظل متمسكاً بها وكان يرددها فى كل المناسبات بأقواله وكتاباته، وهى:

١- إنه لا يمكن لأية أمة تحقيق أهدافها إلا بالعلم والتعليم.

٢- لا يتحقق لنا ما نادى به من الاستقلال التام إلا بالوحدة الوطنية، فعلينا أن نعى هذا تماماً.

٣- أن الاستقلال آت ولابد منه إن عاجلاً أو آجلاً فاستعدوا له.

الحلقة الخامسة:

توقفنا فى الحلقة السابقة عند قول أستاذنا الكبير أنه لا يمكن لأية أمة تحقيق أهدافها إلا بالعلم والتعليم لا يتحقق لنا ما نادى به من الاستقلال التام إلا ما نادى به من الاستقلال التام إلا بالوحدة الوطنية، فعلينا أن نعى هذا تماماً أن الاستقلال آت ولابد منه إن عاجلاً أو آجلاً فاستعدوا له.

كان الأستاذ كبيرى مثقفاً وإعلامياً، بل وصحفياً وكان يعرف كيف يوصل رسالته

وأهدافه ومبادئه للجماهير وإذا قمنا بتقييم خطواته الإعلامية فى ذلك الزمن البعيد نجد بأنه كان متطوراً وسباقاً لزمانه، فعند تأسيس حزب الرابطة بدأ بتوجيه رسائل لأصدقائه الذين كانوا خارج إرتريا يشرح لهم فى هذه الرسائل الخطوة التى أقدموا عليها وأهدافهم بل والأسلوب الذى يتبعونه ومثالاً لتلك الرسائل الرسالة الشهيرة التى وجهها لصديقه «كوليرى نور حسين» الذى كان بالصومال آنذاك، وننقل بعض فقرات من تلك الرسالة لأهميتها، يشكره على برقيته التى تحمل تهنئته بعيد الفطر ويقول «وإنى أبادلك واخوانك الموجودين فى ذلك المهجر الشقيق التحيات القلبية والتهانى الصادقة لهذا العيد السعيد، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يعيده على الجميع بالخير العميم وباليمن وبالرفاهية وعلى وطننا العزيز بالحرية الكاملة والاستقلال التام إنه على ما يشاء قدير».

وفى فقرة ثانية من الرسالة يقول: «ولا يفوتنى أن أشعر حضرة الأخ أن برقيته قد نشرت على صفحات الجرائد المحلية ليطلع عليها المواطنون كلهم وليعلموا أن إخوانهم ولو كانوا بعيدين من البلاد فقلوبهم يقظة لمصلحته» وفى فقرة أخرى من الرسالة المذكورة يقول «أخى لا أشك أنك على علم من حركتنا السياسية المباركة التى قمنا بها من تسعة أشهر، ألا وهى تأسيس الرابطة الإسلامية الإرترية وكان تأسيسها تحت رئاسة السيد محمد أبوبكر الميرغنى أكبر أنجال الأستاذ المغفور له السيد جعفر الميرغنى ولها فى كل العواصم والمديريات فروع يدعى فرع الرابطة الإسلامية، وأن سيرها يسرك جداً ويسر كل حر يتمنى لنفسه ولقومه ولبلاده الحرية والاستقلال وهذا وأهل أسمرا انتخبوا أخوك فى الله رئيساً للجنتها وبذلك حملونى حملاً ثقيلاً لا يطيقه كأهله، ولولا أنك بعيد لما كان لها أهل إلا حضرتك أيها الأخ، ولكن يقال بالمثل فى بلادنا «عِدَ تَرطْبَ يُعَدْيو» أى «الدين يدفعه من حضر».

ويسترسل فى الرسالة: ولا شك أنك قرأت على صفحات الجرائد المحلية الإرترية قراراتها ومطالبها أو سمعت من المحطات الإذاعية العالمية بأننا رفعنا بمطالبنا وشكوانا وتصريحات إلى جميع المدن الإرترية ذات الشأن والحل والعقد وفى يوم ٦/١٠ أقمنا فى جميع المدن الإرترية مظاهرات لم يشهد لها التاريخ مثيلاً لها ويوصفها دوت أصوات الأثير العالمية وأخذنا لها شريطاً سينمائياً عرض يوم أول عيد الفطر المنصرم وكان شيئاً يبهر العقول وكان شعارنا نريد الاستقلال لا نريد الانضمام ولا الاتحاد بإثيوبيا فلتحيا الرابطة الإسلامية، فيحيا حزب الأحرار والتقدم فإذا تم عرض ذلك الشريط فى المدن المحلية سأحاول إذا استحسنت إرساله إليكم لعرضه فى مدن بلاد الصومال الشقيقة ربما يكون ذلك بعد أشهر كثيرة، بحيث إنه طلب منا السودان ومصر هذا أيضاً سيكون بعد أشهر كثيرة لأن كل بلدة تريد أن تعرضه أياماً كثيرة.

والرسالة طويلة إلا أننى نقلت منها تلك الفقرات القصيرة التى تحوى أسلوب الأستاذ كبيرى الفعال فى الإعلام، كما تحمل أفكاره ومبادئه وأن هذه الرسالة موقعه باسم مرسلها - عبدالقادر محمد صالح كبيرى - أسمرا وبتاريخ ٢٥/٨/١٩٤٨م.

الحلقة السادسة:

توقفنا فى الحلقة السابقة عند قول أستاذنا الكبير إلا أننى نقلت منها تلك الفقرات القصيرة التى تحوى أسلوب الأستاذ كبيرى الفعال فى الإعلام كما تحمل أفكاره ومبادئه وأن هذه الرسالة موقعة باسم مرسلها - عبدالقادر. محمد صالح كبيرى - أسمرا وبتاريخ ٢٥/٨/١٩٤٨م.

أما الأسلوب الثانى الذى اتبعه الزعيم الشهيد عبدالقادر كبيرى فقد كان إخراج المواكب والمظاهرات الهادرة ومخاطبتها بالأهداف والمبادىء التى وضعها، تلك المظاهرات وهى تشق شوارع العاصمة أسمرا وتلك المظاهرات كانت فى منتهى

الروعة من ناحية تنظيمها مظهراً ومخبراً فقد كان المتظاهرون يرتدون زياً موحداً من الملابس البيضاء.

وجميعهم يسيرون فى شكل مارشات وطوابير شبه عسكرية وجميعهم يرددون الشعارات الوطنية منغمة وبالحال جذابة، وكان ذلك من الأساليب الفعالة فى التعبئة التى تملأ المواطنين عامة والشبيبة على وجه الخصوص بالحماس والارتباط بالأهداف التى خرجوا من أجلها فى هذه المواكب والمظاهرات عبر الهتافات التى يرددونها وكانت تلك المظاهرات التى يقوم بإخراجها الأستاذ كبيرى وزملاؤه كثيرة ولكننا سنتطرق وكنموذج لها لأحداها والتى ظهرت بتفاصيله فى جريدة «صوت الرابطة الإسلامية الإرترية» والتى كان الأستاذ كبيرى رئيساً لتحريرها.

والمظاهرة المشار إليها قامت فى يوم ١٩٤٧/٦/١٠م وقوامها الجماهير المحتشدة التى تعد بالآلاف وقد بدأت من ساحة جامع الخلفاء بالعاصمة أسمرا وطافت بالشوارع الرئيسية وذلك للتعبير عن إرادتها فى الحرية والاستقلال وخاطبها رئيس فرع الرابطة الإسلامية الإرترية لمدينة أسمرا وحماسين الأستاذ عبدالقادر كبيرى وسننقل فقرات من الخطاب الذى أرتجله قائلاً: «الله أكبر ولله الحمد حضرات السادة أبائى وإخوانى أبنائى أنه لسرور عظيم أن أنال شرف الوقوف أمامكم خطيباً فى هذا اليوم العظيم الذى لا أغالى إن قلت فيه أنه يوم أسمرا الذى سيظل تاجاً على جبين تاريخنا بل يوم إرتريا الخالد الذى تيقظت فيه الأغلبية من أبنائها وقامت لتعلن أنها تنشد شيئاً واحداً لا ترضى به بديلاً وقد عبرت عنه بكلمتين اثنتين لا ثالث لهما وهما «الحرية والاستقلال»، نعم.. فالحرية حق طبيعى للأمم وشىء عزيز لكل حيوان فضلاً عن الإنسان يجرى وراءها ويتكبد المشاق فى سبيل الحصول عليها ويبذل الغالى والنفيس فى حفظها فلا عجب أن نرى هذا الجمع الكريم وهذا الشعب النابه ينشد

حريته ويريد تحطيم الأغلال ويجلجل بالمطالبة فيها ويسير محتشداً يحدوه ضوء تلك الشعلة السامية التى عم الله بها قلبه، تلك الشعلة التى هى الاستقلال نعم الاستقلال «يؤخذ ولا يعطى ولا يدرك بالمنى».

ويسترسل فى خطابه الحماسى طويلاً ويلهب حماس الجماهير ويختم حديثه عن ذلك بالفقرة التالية: «والشعب من حقه أن ينال الحرية والاستقلال هاتان الكلمتان لهما معنى السحر فرددوهما بألسنتكم واذكروهما بقلوبكم حتى تمتزجا بدمائكم أرسلوهما صرخة عالية تملأ الفضاء وتشق عنان السماء فتصل إلى الملك العادل وما ربك بظلام للعبيد» ويستمر فى خطابه ليتطرق لمفاهيم متقدمة حتى اليوم قائلاً: «إننا لا نضمر أى أمن من الأمم أو أى شعب من الشعوب أو أى حكومة من الحكومات شعور كراهية أو بغض إنما نحن أمة تشعر بوجودها وبحقها فى الحياة فهى إذاً تنادى بالاستقلال لتحيا حياة كريمة كغيرها من الشعوب فلا لوم عليها ولا عتاب وعلى ذلك لسنا نعادى اثيوبيا ولا نكره السودان ولا مصر بل نشعر نحو الجميع بشعور المحبة والأخاء وإنما نجاهد لننال مثل ما نالته الأمم من حرية واستقلال ونصل إلى ما وصلوا إليه من رقى وكمال وأننا لن نتوانى أن نجابه أية دولة كانت متى ما حاولت أن تحيل بيننا وبين غايتنا المنشودة بالعداء وهى غاية واحدة وغرض واحد حرية بلادنا ورفاهية أنفسنا وهل يلام المرء على ذلك؟».

الحلقة السابعة:

توقفنا فى الحلقة السابقة عند قول أستاذنا الكبير ولا نكره السودان ولا مصر بل نشعر نحو الجميع بشعور المحبة والأخاء وإنما نجاهد لننال مثل ما نالته الأمم من حرية واستقلال ونصل إلى ما وصلوا إليه من رقى وكمال، وأننا لن نتوانى أن نجابه أية دولة كانت متى ما حاولت أن تحول بيننا وبين غايتنا المنشودة بالعداء وهى غاية

واحدة وغرض واحد حرية بلادنا ورفاهية أنفسنا، «وهل يلام المرء على ذلك؟».

ومن الحديث عن الحرية والاستقلال انتقل خطيبنا الأستاذ كبيرى فى المظاهرة إلى موضوع آخر قائلاً: «سادتى لقد أكثرت ترديد الحرية والاستقلال ولم أتناول الحديث عن طريقهما وطريقهما واضح وجلى وبابهما واحد ألا وهو العلم القلم الذى هو سراج الحرية وزينتها العلم الذى نقتديه به ونستضيىء بنبراسه».

العلم الذى لا يمكننا أن نحافظ على الحرية إلا به فإذا كنا حقاً طلاب حرية واستقلال وحريصين عليهما فعلاً، فلا سبيل إلى ذلك إلا بالعلم، العلم وحده هو الكفيل إلى وصولنا ولحاقنا بقافلة الأمم الحرة التى لا تعرف الاستعباد والذل فعلينا إذاً أيها السادة أن نبذل كل جهد وبكل ما أوتينا من قوة وأن نبذل الغالى والنفيس فى سبيل الحصول عليه وليس ذلك بالأمر العسير وإذا ما تضافرنا وتكاتفنا وأجمعنا على أن نظفر به فهيا بنا إلى العلم شيباً وشباباً. وينبغى أن نعلم كلنا أن لا حرية ولا استقلال إلا بالعلم وبالعمل.

ويختم الأستاذ كبيرى خطابه أمام الجماهير المحتشدة فى ذلك الموكب الكبير بكلمة عهد وميثاق وتصميم قائلاً: «ما هى كلمة أخيرة أقولها إننا قد قمنا نطالب بالحرية والاستقلال وأننا ولا شك على استعداد تام أن نبذل فى سبيلها دماءنا الزكية الطاهرة».

نقلاً من جريدة صوت الرابطة الإسلامية الإرترية السنة الأولى العدد «١٢» الصادر فى ٤/٦/١٩٤٧م.

وهكذا كان الأستاذ كبيرى مرتبطاً بالجماهير فكما شاهدنا كان يتصدر المظاهرات ويخاطب المتظاهرين وفى الاجتماعات كان فى مقدمة المتحدثين أمام الحضور كان منزله وكذلك مكتبه مفتوحاً لاستقبال الزوار وشحنهم بالأمل وبالأهداف والمبادىء التى نذر نفسه لها.. وعلى صفحات الجرائد وبقلمه الذى كان سلاحاً بتاراً يقوم بتسليط الأضواء

على طموحات شعبه فى الحرية والاستقلال يستقبل الوفود القادمة من الخارج ويشرح لها أهداف الشعب الإرترى.. ولم يكن نشاطه وسط جماهير أسمرا وحماسين فقط بل وكان فى نفس الوقت يستقبل الوفود القادمة من الأقاليم الإرترية وعبر هذه الوسائل كان ينقل ما يجيش فى صدره للآخرين بل كان يشدد على الوحدة الوطنية لإغلاق الثغرات والمنافذ التى يستغلها العدو للعبث بوحدة الشعب الإرترى لتحقيق مآربه الخبيثة.

الحلقة الثامنة :

توقفنا فى الحلقة السابقة عند قول أستاذنا الكبير وكان فى نفس الوقت يستقبل الوفود المتتالية من الأقاليم الإترية وعبر هذه الوسائل كان ينقل ما يجيش فى صدره للآخرين بل كان يشدد على الوحدة الوطنية بغلاق الثغرات والمنافذ التى يستغلها العدو للعبث بوحدة الشعب الإرترى لتحقيق مآربه الخبيثة.

هناك أسئلة كبيرة وأبرزها لماذا اختار إثيوبيا بواسطة عصاباتها الإجرامية واستهدفت حياته دون الآخرين من رجالات وزعامات الصف الأول فى الحركة الوطنية الإرترية بذلك؟ وهل كان الزعيم كبيرى فعلاً كذلك؟ إن الإجابة على هذين السؤالين يجدهما القارىء بين سطور الصفحات السابقة من هذا المقال، فقد أن الزعيم كبيرى متميزاً على غيره وضوح الرؤيا وبتحدى داالهدف بشكل واضح ثم تحديد الوسائل والخطط وبلوغه أيضاً لم يكن يعمل لتسليط الضوء على شخصه وزعامته بل أن يقوم بحشد الجماهير لتتبين وتدافع عنها وتناضل من أجل تحقيقها، وكان أسلوب التوعية التعبئة هو الوسيلة التى اعتمدها منذ البداية.

فمنذ اليوم الأمول لأنشاطر «جمعية حب الوطن» «محبر فقر هقر» إلى جزئين بفعل المخططات والأصابع الإثيوبية فإن كبير والذى كان نائباً لرئيس تلك الجمعية ولستة أعوام فإه اختار شعار الاستقلال وبدأ يناضل لتحقيقه وحشد الجماهير من

حوله ونتيجة لهذا النضال فإن الأنشطار الطائفى الذى راهنت عليه إثيوبيا فى صفوف الشعب الإرترى لتحقيق مآربها أصبح مصيره الفشل، فبدلاً من حزب واحد وهو الرابطة الإسلامية الإرترية فقد تشكلت جبهة عريضة من عدد من الأحزاب تحت تسمية «الكتلة الاستقلالية».

وهنا جن جنون اثيوبيا لأنها بدأت تشعر بالخطر الحقيقى الذى أصبح يتهدد طموحاتها التوسعية فى إرتريا ومنذ البداية كان يدبر المؤامرات الإثيوبية وعمليات الاغتيالات المدعو «نقا هيلا سلاسى» وهو الضابط المقيم كقنصل عام لاثيوبيا فى مدينة أسمرا وقد قام بتكوين عصابات من القتلة المأجورين حيث كان يغدق عليهم الأموال الطائلة ويجانب الاغتيالات فقد كانت أنشطتهم الإجرامية تشمل نهب الممتلكات من الأموال والمواشى وتخريب المزارع وممارسة الابتزاز وفرض الاتاوات المالية على كل معارض لإثيوبيا وكان كل من يبرز من صفوف الوطنيين الأريتريين كمعارض للمخطط الإثيوبى ومواجهته لجذب الانضمام فقد كان يتعرض لما يسمى بلغة اليوم «إرهاب الدولة» الذى كانت تمارسه إثيوبيا ضده من تهديد وإرهاب ونهب الممتلكات ثم القتل أخيراً وقد تعرض الكثيرون من المواطنين الإرتريين لذلك أما الأستاذ كبيرى فقد كان حالة خاصة.

كان الزعيم الشهيد عبدالقادر كبيرى نموذجاً لذلك خاصة وأن إثيوبيا كانت آلية كدينمو يحرك الحركة الاستقلالية ويدفع بها للأمام ولذا فقد قامت تلك العصابات ومن ورائها الدوائر الاثيوبية بالخطوات التالية ضده:

١- هددوه شفوياً عدة مرات.

٢- حذروه بواسطة رسائل التهديد والوعيد.

٣- أحرقوا مزارعه فى بلدة «عايلت».

٤- استولوا على المواشى التى كان يمتلكها وعددها أكثر من ٤٠ بقرة فى بلدة «مرارة» إلا أن كل ذلك لم يرهب أو يرغب الشهيد كبيرى فقد ظل وفى كل خطبه وخطاباته يكرر بأنه مستعد للشهادة فى سبيل استقلال إرتريا، كما كان يعرف بل ويعترف بأنه مستهدف فى حياته إلا أنه لن يرضخ للتهديد والوعيد وانهم إذا تمكنوا منه فإن هدف الاستقلال سيتحقق ولو بعد عقود، وأن التاريخ سيذكر ويشهد لجيله بما قاموا به من أجل الاستقلال وظل شعاره الدائم «لا نرضى عن الاستقلال بديلاً».

وأثناء الصراع المكشوف بينه وبين الاثيوبيين فقد تم اختياره فى الوفد المتجه إلى الأمم المتحدة فى أمريكا لعرض قضية إرتريا أمامها والدفاع عن دالتها وقبل سفره بساعات فقط اغتيل غدراً بيد العملاء والمأجورين فى مساء يوم الأحد الموافق ٢٩/ ٣/ ١٩٤٩م فقد حرصوا ألا يتركوه يتوجه إلى الخارج وبخطاب المنتدى الدولى دفاعاً عن قضيته العادلة لأنهم كانوا يدركون مقدرته وعلمه وتجربته الغنية بداخل إرتريا وخارجها بالإضافة لعلاقاته الواسعة فى المجال الخارجى.

الحلقة التاسعة:

وقفنا فى الحلقة السابقة على قول أستاذنا الكبير فقد حرصوا ألا يتركوه يتوجه إلى الخارج ويخطاب المنتدى الدولى دفاعاً عن قضيته العادلة لأنهم كانوا يدركون مقدرته وعلمه وتجربته الفنية بداخل إرتريا وخارجها بالإضافة لعلاقاته الواسعة فى المجال الخارجى.

كيفية الاغتيال:

نقلاً عن الجريدة العربية الأسبوعية الصادرة فى مدينة أسمرا بتاريخ ١/ ٤/ ١٩٤٩م الموافق ٣ من جمادى الثانية ١٣٦٨ هجرية «العدد ١٨٣» السنة الرابعة.

اغتيال رئيس فرع الرابطة الإسلامية بأسمرا فى تمام الساعة التاسعة فى مساء

الأحد الماضى أطلق شخص مأجور النار من مسدس كان فى يده على السيد عبدالقادر محمد صالح كبيرى رئيس فرع الرابطة الإسلامية بأسمرا بينما كان سائراً فى طريقه بشارع كايرى.

وقد كانت الإصابة بالغة الخطورة إذ نفذت الطلقة من الخلق فى الجانب الأيمن وفى نفس الوقت فر الجانى هارباً وحمل المصاب فى الحال إلى مستشفى «جينا التا» وأجريت له عملية جراحية «سورجى» والدكتور «لأررى» وقد جاء فى التقرير الطبى أن الإصابة بالغة الخطورة لأن الرصاصة كانت قد تسببت فى تلف الطحال وأوجدت ثقوباً فى المعدة والكبد. وجاء فى التقرير أيضاً أن المصاب قد فقد كمية كبيرة من دمه ولذلك استدعى فى الحال أن تجرى له عملية نقل الدم بسرعة وقد تطوع ثلاثة أشخاص بدمهم وتمت عملية نقل الدم وتحسنت حالة المصاب، فيما بعد حلت الساعة التاسعة مساءً حتى وافته المنية وأسلم الروح إلى ربه تعالى نسأل الله له الرحمة والغفران.

تشييع الجثمان لمثواه الأخير:

نبأ اغتيال الأستاذ عبدالقادر كبيرى انتشر فى جميع أنحاء إرتريا وكان النبأ صدمة أصابت الجميع لما كانوا يحملونه له من حب وتقدير وإعجاب بمواقفه الشجاعة فى مواجهة إثيوبيا ومخططاتها وعملائها وبالتالى بدأت وفود الأقاليم تتقاطر إلى أسمرا للاشتراك فى تشييعه.

فقد تمكنت عصابات إثيوبيا من اغتياله غدراً وفى جنح الظلام فى مساء الأحد وبذلت محاولات بواسطة الأطباء لانقاذ حياته بإجراء عملية ونقل الدم ليلة ونهار الاثنين وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها يوم الثلاثاء وتقرر دفنه يوم الأربعاء وعندئذ كانت وفود الأقاليم قد تكاملت وأغلقت الأسواق والمدارس بالعاصمة أسمرا والأقاليم وتجمهر الجميع أمام منزله وفى تمام الثانية عشر ظهراً تحرك الموكب

الحزين باتجاه المقابر وكان يتقدم الموكب طلبة المدارس، فشباب الجمعية الإسلامية وجثمان الفقيد يحيط به من الجانب الأيمن والأيسر فرسان البوليس ومن بعده اصطفت جماهير المشيعين من مختلف الطبقات والهيئات والجاليات يتقدمهم سماحة مفتى الديار الإرترية وقاضى أسمرا والحماسين جميعاً من العلماء والمشايخ والأعيان ومحافظ أسمرا وحكمدار البوليس وغيرهم من رجالات الإدارة والهيئات المختلفة.

وعندما وصل الجثمان إلى المقابر اجتمعت الجماهير والتى تقدر بالآلاف واصطفت للصلاة عليه وقد أم الجميع وصلى عليه سماحة المفتى الشيخ إبراهيم المختار وبعدها بدأت كلمات الترحم والتأبين للفقيد وكانت على النحو التالى:

١ - كلمة المفتى إبراهيم المختار.

٢ - كلمة الأستاذ ياسين محمود باطوق.

٣ - كلمة بلاتا دمساس ولد ميكائيل.

٤ - كلمة المحامى محمد عمر قاض.

٥ - كلمة اتو نجاش حقوس قبرى.

٦ - كلمة فتوراى طه آدم.

وبعدها ورى جثمان الفقيد فى مثواه الأخير بينما كان بعض المشيعين يجهشون بالبكاء وآخرون يتلون القرآن وغيرهم يدعو له بالرحمة.

الاعتراف بالجبرتى!!

أصدرت الحركة الفيدرالية الإرترية فى مؤتمرها الأول المنعقد فى ديسمبر ٢٠٠٤، قراراً ب«الاعتراف الرسمى لقومية الجبرتية الإرترية كمجموعة إثنية قائمة بذاتها منفصلة عن قومية التقرينية من سكان المرتفعات المسيحيين والذين يتحدثون باللغة التقرينية»، وذلك حسبما جاء فى نص القرار الذى نُشر فى «قبيل. كوم»، واتخذ حزب النهضة الإرترى الذى تأسس حديثاً موقفاً مماثلاً.

وإذا كان قرار الحركة الفيدرالية قد لقى ترحيباً من البعض الذى رأى فيه قراراً صائباً وشجاعاً وإحقاقاً للحق تجاه فئة من الشعب الإرترى أصابها الكثير من الظلم فى تاريخها ثم تم تجاهلها وتجاهل دورها، بل والتحامل عليها فى إرتريا المستقلة، بيد أن هناك من استقبله بكثير من الدهلة والاستغراب والتساؤلات. ولم تخل الساحة ممن استنكر القرار وأبدى مخاوفه من أن يكون مقدمة لتفتيت إرتريا!.

ولكن، لماذا اتخذت الحركة الفيدرالية هذا القرار؟ ولماذا سار حزب النهضة على نفس النهج؟

تبدأ القصة عندما عنَّ للجبهة الشعبية لتحرير إرتريا بتقسيم الشعب الإرترى إلى قوميات، فقامت بتقسيم غير علمى متخذة من اللغة، واللغة فقط، أساساً لذلك التقسيم. فتحولت بذلك تلقائياً كل المجموعات اللغوية إلى قوميات!! ولو ظلت دراستها هذه مجرد دراسة قابلة للنقاش والأخذ والرد، لما كانت ثمة مشكلة. ولكن المشكلة ظهرت بعد التحرير، حينما قامت الجبهة الشعبية باعتماد دراستها وتطبيقها

خلال إجراء الاستفتاء على الاستقلال، دون طرحها على الشعب والمختصين للنقاش ودون الاستئناس برأى المجموعات البشرية موضع التقسيم. ففى الاستفتاء الذى رجى فى العام ١٩٩٣ حول الاستقلال، فرضت الحكومة المؤقتة على الذين يدلون بأصواتهم تحديد «هويتهم القومية»، ضمن معلومات أخرى طلب تسجيلها فى استمارة أُعدت خصيصاً. وقد فجر التقسيم خلافات داخل البلين والساهو واستنكاراً شديداً من الجبرتى الذين شعروا بالإهانة حينما منعوا من ذكر «هويتهم الجبرتية» التى لا يعرفون إلا بها كمكون بشرى ضمن مكونات الوطن الإرترى. وروى بعضهم بمرارة أنه وفى العديد من اللجان كانت تشطب كلمة «جبرتى» حينما يصر أحدهم على وضعها فى الاستمارة. وقد أحدث هذا التعنت من حكومة إسياس رد فعل عنيف لدى قطاع كبير منهم للدرجة التى صاروا يؤكدون فيها بأنهم قومية قائمة بذاتها متخذين مما كتبه المرحوم الدكتور ياسين أبرًّا قبل ذلك بسنين فى ظروف مشابهة، حجة لدعم ما ذهبوا إليه. ومما زاد الأمر اشتعالاً أن بعضاً منهم ممن أحسن الظن بالحاكم، توجهوا إليه يطلبون منه الاعتراف بالجبرتى كقومية، فما كان منه إلا أن أمر باعتقالهم فى المطار، وهم يتأهبون للمغادرة إلى السعودية التى قدموا منها. أحدث أمر اختفائهم من المطار البلبلة إلى أن تأكد بأنهم يقبعون فى أحد سجون النظام. وقد تسبب هذا العمل الأحمق واللا مسئول فى غضب جماعى لدى الجبرتى وإلى تعاطف محلى ودولى معهم كأقلية مضطهدة.

واضح إذاً أن قرار الحركة الفيدرالية وحزب النهضة كان استجابة للرغبة التى ظل يعبر عنها بعض الجبرتى بعد تلك الأحداث، للاعتراف بهم كقومية قائمة بذاتها.

والسؤال الذى يلح على المرء هو: لماذا اتخذت الحكومة الإرترية المؤقتة أساساً، قرار تقسيم الشعب الإرترى إلى قوميات؟ فهل كانت ثمة ضرورة لذلك حقاً؟! ثم

لماذا كان الإصرار لأن يسجل كل مشارك فى الاستفتاء قوميته، قبيلته، ديانته.. إلى آخر القائمة؟ وحتى لا نقول بإن الحاكم ربما رأى أن ثمة ضرورة ملحة ومستعجلة من أجل الإحصاء، حتى يعرف الإرتريون أنفسهم بدقة، فحسب علمنا فإن أياً من تلك المعلومات لم تنشر حتى الآن، بل إنها لم توضع حتى فى متناول الباحثين والأكاديميين! الأمر الوحيد الذى نتج عن هذا التقسيم كان إثارة الخلافات والتوترات والانقسامات داخل بعض التجمعات الإرترية التى عناها التقسيم كما أسلفنا! إذاً، أكان ذلك هو هدف الحاكم؟ ليس من المستبعد أن يكون قد أراد اقتفاء أثر نظام «الدرق» الذى قام بتقسيم شبيه للإرتريين إلى قوميات، أثار فى حينه خلافات مماثلة، فكتب المرحوم الدكتور/ ياسين أبرَّا بحثه المثير للجدل عن الجبرتى. ولكن قد تكون لإسياس أيضاً أهداف خفية ما دام قد أخفى النتائج واحتفظ بها لنفسه.

ولكن وبعيداً عن الفعل الأحمق للنظام وردود الأفعال الغاضبة والمتطرفة أحياناً، دعونا ننظر بعمق وروية ل«المسائلة الجبرتية» إن جاز التعبير.

أطلق اسم الجبرتى فى البداية على الذين اعتنقوا الإسلام من سكان الهضبة الإثيوبية، ولكنه استقر فى النهاية ليحمله المسلمون المتحدثون بالتقرينية فى شمال أثيوبيا والمرتفعات الإرترية. ويختلف الباحثون حول مصدر الاسم، فثمة من ينسبه إلى الرسول ﷺ، حيث يُروى بأنه قد قال «جبرونى مرتين» فى إشارة إلى مسلمى الحبشة الذين جبروه «ساندوه» حينما اعتنقوا الإسلام أولا ثم حينما قاتلوا إلى جانبه ضد أعدائه من قريش، فانتصر عليهم. بيد أن رواية محلية تعيد أصل كلمة جبرتى إلى الكلمة الجنزية «أجبرت» والتى تعنى عبدالله، فى إشارة إلى تمسكهم بدينهم وعقيدتهم الدائم، أو كما يقول «بوليرا» نقلاً عن «Cerolli» بأنه من المؤكد تقريباً بأن اسم الجبرتى اسم قديم وخاص لقبيلة محلية عُمم فيما بعد على كل مسلمى الحبشة. بينما

هناك مصادر تؤكد بأن الاسم يشير إلى سكان عاصمة إمارة إيفات «جبرت» فى إقليم زيلع، والتى كانت أكبر إمارات الطراز الإسلامى السبع، حيث تشتت سكانها وتفرقوا فى كل اتجاه بعد سقوطها فى القرن الرابع عشر الميلادى، وهو بالمناسبة نفس القرن الذى قدم فيه الإخوان «أدكمى» و«ملقا» من لاستا واستوطنا ما يعرف اليوم بإقليم سرابى» فعبر بعضهم، أى بعض سكان إمارة إيفات، البحر نحو اليمن والحجاز واتجه بعض منهم إلى الجنوب فاستقر فى الصومال وأخذ آخرون طريقهم، وربما كان الأكثرية، نحو الهضبة، حيث استقروا فى شمالها فيما يعرف اليوم بإقليم تقراى فى إثيوبيا وكبسا «المرتفعات» فى إرتريا، حيث وجدوا فيها مسلمين اعتنقوا الإسلام على يد الصحابة الذين التجأوا إليها هرباً من بطش قريش فى بداية الدعوة المحمدية فى العام ٦١٥م، فاختلط القادمون من جبرت والمسلمون من أهلها وصاروا مع مرور الزمن شعباً واحداً يطلق عليه اسم «الجبرتى»، وثمة رواية تتحدث عن أن إمارة إيفات قد قام بتأسيسها قومٌ هاجروا من الحجاز من قبيلة الجبرت التى تنسب إلى عقيل بن أبى طالب، فأخذت عاصمتها اسمها من اسم تلك القبيلة. وتعارض رواية أخرى ذلك، بأن الذين قاموا بتأسيس إيفات والتى سميت عاصمتها باسمهم هم من الجبرتى الذى أسلموا على يد الصحابة وتحولوا إلى دعاة للإسلام، حيث اتجهوا نحو الجنوب وأسسوا إيفات «الجبرتى»، وما أولئك الذين يسمون بالجبرت فى الحجاز إلا جزءاً من سكان إيفات الذين هاجروا إليها بعد سقوطها. ولا يجب أن نستغرب من هذا الاختلاف، فهو حادث فى أصول كثير من المجموعات البشرية، ولا سيما فى أفريقيا، حيث التاريخ فى الغالب الأعم غير مسجل ويتناقله الناس شفهياً، وأياً كان الأمر فكل هذه الروايات تؤكد حقيقة واحدة، وهى أن الجبرتى ظلوا يعرفون بهذا الاسم وعلى هذه الأرض منذ القدم، أى منذ أكثر أو أقل قليلاً من الألف عام. والجبرتى

أقلية دينية فى الهضبة يشتركون مع الأغلبية فى الأرض واللغة وفى كثير من العادات والتقاليد، ولكنهم، ولكونهم أقلية فقد تعرضوا خلال تاريخهم للظلم والاضطهاد على يد الأباطرة الاثيوبيين والحكام المحليين على حد سواء، حيث سنت قوانين تجعل منهم على أرضهم مواطنين من الدرجة الثانية، لكونهم فقط مسلمين. وربما كان الأكثر قرباً للأذهان والأكثر قسوة وبشاعة ما تعرضوا له على يد الامبراطور يوهنس الرابع «١٨٣٥-١٨٨٩» الذى قرر توحيد الأديان فى امبراطوريته على المذهب المسيحى الأرثوذكسى «توهدو». وكان المسلمون، وخاصة المسلمين الجبرتى، القاطنين فى المناطق الواقعة تحت الحكم المباشر ليوهنس هم أكثر من عانوا من قوانينه الجائرة. وبسبب تمسكهم بدينهم اضطر كثير منهم إلى ترك ديارهم والهجرة إلى حيث يجدون الأمان. ومن بقى منهم عاش فى رعبٍ دائم يربط «المغتَبْ» فى عنقه فى النهار، ليتظاهر بنصرانيته -حسب قوانى يوهنس- ثم لينزعه فى المساء حتى يمارس شعائره الدينية خفية وتحت جنح الظلام. و«المغتَبْ» عبارة عن خيط على شكل ضفيرة «أسود أو كحل اللون» أمر يوهنس أن يربطه كل رعايا دولته على أعناقهم!!.

وبسبب الاضطهاد الطويل الذى تعرض له الجبرتى، شبه بعض الكُتاب الأوروبيين، ومنهم البرتو بوليرا، معاناتهم بمعاناة اليهود فى أوروبا. فرضت عليهم هذه المعاناة والعزلة الطويلة التى أرغموا عليها، أن يكونوا أكثر تآزراً لمواجهة محنتهم، خلال ذلك الليل الطويل الذى عاشوه. ولاشك بأن القرون الطويلة من الاضطهاد والعزل، قد خلقت لديهم مزاجاً نفسياً قد يختلف قليلاً أو أكثيراً عن الأغلبية الدينية فى منطقتهم، بجانب أن للثقافة الدينية، أى دين، تأثيرها الذى لا ينكر فى الحياة اليومية لمعتنقيها. وقد يختلف مدى ذلك التأثير عند هذا الدين أو ذاك وعلى الشعوب المختلفة التى تعتنقه والتى تعيش فى مواقع وظروف مختلفة. بيد أن كل هذا لا يغير

من حقيقة أن العادات والتقاليد والثقافة المتوارثة عبر القرون للذين ينتمون لنفس الأرض ويشتركون فى نفس اللغة تظل فى جوهرها نفسها، رغم تأثيرات العقائد المختلفة التى ينتمون إليها والشعائر التى يمارسونها. وهذا الحال ينطبق على كثير من البلدان التى تعيش فيها أقليات دينية وسط أغلبية لا تختلف معها إلا فى الدين، مثل الأقليات المسيحية فى عدد من البلدان العربية كسوريا ومصر ولبنان والأقلية المسلمة الأمهرية فى مجتمع الأمهرا فى إثيوبيا.. إلخ، ولكن أيضاً من البديهى أن هذا التوافق لا يلغى أن تكون للأقليات الدينية هذه مطالبها الخاصة حينما تشعر بأنه قد أجحف بحقها وطالها الظلم من قبل الأغلبية. بل وقد يحدث أيضاً حينما لم يُصغ إلى مطالبها ويتمادى فى اضطهادها وتجاهلها، أن تكون لها ردود أفعال غاضبة للدرجة التى تنفى فيها وجود أية علاقة لها تاريخية كانت أو اثنية أو ثقافية مع من تشعر بأنه يستمرء هضم حقوقها وإذلالها. والتاريخ يحدثنا عن أمثلة كثيرة على مثل ردود الأفعال تلك.

وعلى الرغم من أن المسلمين فى إرتريا ليسوا بأقلية، إلا أن معاناة الجبرتى كأقلية دينية فى منطقتهم تسبق بقرون نشأة إرتريا وظهورها ككيان قائم بذاته تشمل مناطق إسلامية شاسعة فى العام ١٨٩٠. ومازال الجبرتى يشعرون بأن ذيول ذلك الاضطهاد مستمرة حتى اليوم بأشكال مختلفة. وللأسف، فإن النظام الذى قام فى إرتريا بعد الاستقلال ليس فقط لم يتصرف بما يزيل مثل ذلك الإحساس ويشيع الاطمئنان فى نفوسهم ونفوس الإرتريين الآخرين الذين تعتريهم أحاسيس مشابهة، ولكن على العكس قام بكل ما من شأنه أن يزيده رسوخاً. فتصرفات رئيس النظام الغريبة ولاسيما تجاه الجبرتى، حولت شكوكهم فيه إلى يقين. فى البداية شعروا بشىء من المرارة والاستياء حينما قام رأس النظام، بعد التحرير، بتكريم رواد النضال الوطنى فى الأربعينيات إبراهيم سلطان وولدآب وولدى ماريام، وُفل تكريم الشهيد عبدالقادر

كبيرى الذى يعتبر أبو شهداء النضال الوطنى من أجل الاستقلال. ثم صار بعد ذلك، أى رأس النظام، لا يترك فرصة تمر دون أن يسىء إليهم بالتصريح أحياناً وبالغمز أحياناً أخرى. ونعتقد أن الجميع أدرك من كان يعنى فى رده على فتاة مسلمة سألته، متحدثة بالتقرينية، عن وضع اللغة العربية فى إرتريا، خلال اجتماع عام عقده فى الولايات المتحدة الأمريكية فى السنوات الأولى لحكمه!! وقد لقى ذلك الرد اللا مسئول استهجاناً من كل الإرتريين الذين يحرصون على صفاء العلاقة بين مكونات هذا الوطن المبنية على الاحترام المتبادل. وفى العام المنصرم تقرر هدم حى «حديش عدى» فى مدينة مندفرا، وسكانه كلهم مسلمون والغالبية الساحقة منهم من الجبرتى، وذلك بحجة أن مساكنه عشوائية وفى قلب المدينة، حيث يجب أن تحل محلها مساكن حديثة من أربعة طوابق. وبالفعل تم تسوية مساكن الحى بالأرض دون توفير مساكن أخرى يأوى إليها أصحابها المشردون، وخصصت لهم فقط أراض على أطراف المدينة مع تعويضات مالية طفيفة لا قيمة لها. وفى الحقيقة فإن هذا هو الأسلوب الذى يتبعه النظام فى مثل هذه الحالات، حيث يكون وضع المواطن «المهجر» آخر ما يشغل بال صاحب القرار. ولكن الذى اثار حنق المسلمين فى إرتريا بل واستنكار كثير من الإرتريين غير المسلمين هو قيام السلطات بهدم أربعة مساجد فى الحى بعد أن تم محاصرتها بوحدات عسكرية مدججة بالسلاح، والتى لم تنسحب، إلا بعد أن تركتها ركاماً، بما فيها من مصاحف وكتب دينية. وتؤكد مصادر قريبة من مواقع السلطة، بأن الديكتاتور كان يتابع لحظة بلحظة من أسمرا عملية هدم المساجد، ولم يرتح له بال إلا بعد أن تلقى بلاغ نجاح العملية!! ويعود بناء أحد هذه المساجد إلى تاريخ نشأة مدينة مندفرا مع مجىء الاحتلال الإيطالى، وتحولها إلى عاصمة لإقليم سرايى، أى إلى ما يزيد على المائة عام.

لا شك أن الناس قد تساءلوا فى تلك اللحظة التى كان يتم فيها هدم المساجد، هل عاد يوهنس الرابع من جديد؟!

كل هذا الاستهداف يؤكد لنا بأن النكتة التى أطلقها مقدم البرنامج المعروف نقوسى هيلى منسعاى منذ سنوات فى أحد مهرجانات كاسل السنوية، عن مرض «الجيم» الذى أصاب إسياس أفورقى من شدة كراهيته ل«جبهة» «جبرتى» جبلى «العرب»، وذهب بسبب ذلك إلى إسرائيل للعلاج، لم تأت -أى النكتة- من فراغ. ويبدو أن صاحبها كفنان قد انتبه مبكراً لما لم ينتبه إليه كثيرون إلا بعد زمن طويل.

وأمام كل هذا فإن السؤال الذى يقفز إلى الذهن هو: ما العمل؟ أجل ما العمل من أجل وضع حدٍ لكل هذه الإهانات وهذا الاستهداف المستمر من قبل الطاغية؟ والرد المنطقى والسريع الذى يتبادر إلى الذهن أيضاً: هو النضال ثم النضال، إذ ليس ثمة وسيلة أخرى لوضع حدٍ للظلم والقهر سوى النضال، فهذا ما يعلمه لنا التاريخ.

ولكن كيف يكون النضال وبأى أسلوب؟

صحيح أن رأس النظام -ربما لعقدة فى نفسه، يعرفها هو، يستهدفهم أكثر من غيرهم، إلا أنه وفى هذه المرحلة التى نعيش فيها نستطيع أن نقول دون أن نجافى الحقيقة، بأن الغالبية العظمى من الشعب الإرترى تتمنى رحيل هذا النظام الذى حوله حياتها إلى جحيم. ولأن الأمر كذلك، فإن أعداداً كبيرة من قيادات وكوادر النظام ومن الجماهير التى كانت مخدوعة به، قد حولت اتجاهها وصارت جزءاً من القوى المعارضة، تلك القوى التى أدركت مبكراً طبيعة النظام ولم تكف يوماً عن مواجهته. والأولى بالجبرتى، وهم الذى اكتووا بنار النظام منذ البداية ولم تخدع غالبيتهم العظمى به، أن يضموا جهدهم إلى جهد كل القوى المخلصة التى تناضل فى سبيل إزاحته وأن يحولوا غضبهم العارم إلى عمل دؤوب لتعزيز النضال الذى يخاض

لإقامة نظام ديمقراطى بديل على أنقاض النظام الديكتاتورى الذى يتحمل آثام ما يعانونه، وتشاركهم فى معاناتهم ومعاداته اليوم، الغالبية العظمى من الإرتريين. ولا طريق آخر أمامهم - من وجهة نظرنا - غير هذا الطريق إذا أرادوا التخلص من الظلم والإهانة التى يمارسها ضدهم هذا النظام منذ صعوده إلى سدة الحكم. وفى هذا يجب أن يقتفوا أثر آبائهم وأجدادهم ويسيروا فى الطريق الذى ساروا عليه.

على الجبرتى والشباب منهم على وجه الخصوص والذين هم أكثر المتحمسين للمطالبة بحقوقهم، أن يعرفوا تاريخ آبائهم وأجدادهم الناصع فى النضال من أجل الاستقلال الوطنى الإرترى. فلقد كانوا فى مقدمة الصفوف فى بداية الأربعينيات للمطالبة بحقوق الإرتريين التى داس عليها الاستعمار الإيطالى وحنث الإنجليز بوعدهم لإعادتها إليهم. فـ«محبر فقرى هجر» (جمعية حب الوطن) التى قامت للمطالبة بحقوق الإرتريين كأول منظمة سياسية إرترية، رأت النور فى العام ١٩٤١ من خلال الاجتماعات التى كانت تعقد فى بيوت محمد أبرَّأ حقوق وآدم قسم الله. وكان الشهيد عبدالقادر كبيرى الذى انتخب نائباً لرئيسها قرى مسقل ولدو، هو الذى وقع عليه الاختيار ليتحدث باسم الإرتريين جميعاً للحاكم العسكرى البريطانى حتى يفى بما وعدت به حكومته. وأربعة من قيادة الجمعية، التى كانت تتكون من اثنى عشر شخصاً، كانوا من الجبرتى، وهم بجانب عبدالقادر كبيرى، دجيات حسن على، والحاج إمام موسى، وبرهانو أحمد الدين، ويشهد التاريخ لهؤلاء جميعاً بأنهم انحازوا لمطلب الاستقلال تحت راية الرابطة الإسلامية، بعد أن تحول «محبر فقرى هجر» إلى منظمة مطالبة بالوحدة مع إثيوبيا. وقد سقط عبدالقادر كبيرى شهيداً برصاص حزب إثيوبيا. أما الحاج إمام موسى فقد بقى حتى نهاية عمره المديد الذى تجاوز المائة عام يجاهر بعدائه للاحتلال الإثيوبى لهضمه لحقوق الإرتريين،

حتى أنه قد ألقى به فى السجن وهو فى الثمانينات من عمره، ونستطيع أن نقول دون أن نخشى الاتهام بالمبالغة، بأن جُلَّ الجبرتى وقفوا منذ البداية وحتى النهاية مخلصين لمطلب الاستقلال. وبالطبع فإن لهذا الاصطفاف الفريد أسبابه التاريخية التى نجدها فى ما أوردناه عن معاناتهم تحت حكم الأباطرة الإثيوبيين ومعرفتهم، ربما أكثر من غيرهم، فى أى وضع كان يعيش المسلمون تحت حكم هيلى سلاسى فى إثيوبيا فى ذلك الحين. وبسبب صمودهم على موقفهم عانوا أكثر من غيرهم من الاستقلاليين، لكونهم أقلية مطالبة بالاستقلال تعيش وسط أغلبية تطالب بالوحدة مع إثيوبيا. ومع ذلك واصلوا نضالهم مع بقية الإرتريين من مختلف الانتماءات لتحقيق هدفهم الذى لم يحيدوا عنه أبداً، متحملين بصمود فى سبيل ذلك الهدف المقدس، كل العدوان الذى كان يقع عليهم من عصابات حزب «الوحدة» والذى كان الشهيد عبدالقادر كبيرى أبرز ضحاياه. وقد تحدث ترافاسكس، فى كتابه «إرتريا مستعمرة فى مرحلة الانتقال»، متناولاً تلك الفترة عن الأقلية المسلمة من أبناء سرأيى الأشداء، الذين تمكنوا من إثبات وجودهم بدعم من السهر وابنى عامر الذى كانوا يشاركونهم نفس الأهداف.

وحينما قامت حركة تحرير إرتريا فى العام ١٩٥٨م كان شباب الجبرتى فى مقدمة الذين انضموا إليها فى العاصمة وفى المدن الرئيسية الأخرى. ولنشاطاتهم المكثفة استضافت سجون النظام أعداد كبيرة منهم.

وبعد أن خرقت حكومة هيلى سلاسى بنود الاتحاد الفيدرالى وبدا واضحاً عزمها على إلغائه وضم إرتريا إلى اثيوبيا وفجر الشهيد حامد إدريس عواتى الكفاح المسلح تحت راية جبهة التحرير الإرترية، لم يتأخر الجبرتى، كدأبهم، فى الانضمام إليها بتنظيم أنفسهم فى خلاياها السرية ليكونوا عمادها فى مدن المرتفعات المهمة مثل أسمرا ومندفرا، عيون تراقب وآذان تسترق السمع وأقدام تتحرك فى أخطر مناطق

العدو وأكثرها صعوبة على الاختراق فى سبيل جمع المعلومات للفدائيين الذى قضَّوا مضجع العدو فى تلك السنوات الأولى من الكفاح المسلح. وبسبب ذلك النشاط وضعوا تحت المراقبة وتعرضوا للسجن والتعذيب كغيرهم من النشطاء الإرتريين. ويوضح لنا سجن عدد كبير من التجار الجبرتى فى مدينة مندفرا والحكم بالإعدام على عدد منهم فى الستينات، نذكر منهم محمد نور خليفة، بسبب دعمهم لجبهة التحرير الإرترية، إلى أى مدى كانوا منخرطين فى العمل النضالى. ولم يتخلف شبابهم عن الالتحاق بجيش التحرير الإرترى، فقد كانت الجبهة وكان جيش التحرير أمل الإرتريين جميعاً ولهم على وجه الخصوص ليتخلصوا من ذلك الظلم الذى ظل يلاحقهم منذ عهود طويلة. ويكفى أن نذكر هنا، على سبيل المثال، شباب مسيام الذين التحقوا بالجملة بجيش التحرير، فعوقبت القرية بإحراقها وذبح كهولها وتهجير نسائها وأطفالها خلال مذابح ١٩٦٧م.

نحن نتفهم ما تشعر به هذه الفئة من الشعب الإرترى اليوم من خيبة أمل وإحباط وغضب، حينما تجد بعض السفهاء وعلى رأسهم رأس النظام ينكرون كل هذه النضالات وكل هذا التاريخ الملىء بالتضحيات وينشرون الأكاذيب حول سلبية الجبرتى وعدم مشاركتهم فى النضال الوطنى من أجل الاستقلال. ويزيدهم غضباً وإحباطاً ترديد الكثيرين من «الأميين» الذين لا يكلفون أنفسهم بقراءة التاريخ، وتاريخ النضال الإرترى على وجه الخصوص، كالببغاوات أكاذيب إسياس وأتباعه.

ولكن هل يكون الرد على هذه الافتراءات والإهانات بالتقوقع والانعزال عن الركب المقاوم للظلم والاضطهاد والذى كان أباؤهم وأجدادهم دوماً فى مقدمته كما رأينا؟ ألا يخدم هذا الموقف إسياس وزمرته ليجيروا أكاذيبهم عنهم حتى تبدو وكأنها الحقيقة؟!

وهل يكون الرد على الافتراءات بالمطالبة بالاعتراف بهم كقومية قائمة بذاتها، كما يصر البعض؟! ولكن ألا ترون أن فى هذا المطلب فى حد ذاته إهانة للجبرتى

أنفسهم ووقوع فى الفخ الذى نصبه لهم إسياس. فمن يعترف بمن؟! إن الجبرتى على هذه الأرض منذ القدم ويحملون اسمهم هذا منذ ما لا يقل عن عشرة قرون، ولا يستطيع كائناً من كان أن ينزعه عنهم! فإذا شكك فيهم بعض المعتوهين وحاول تجاهلهم حاكم لا يقل عنهم جنوناً يجد لذته فى تعذيب شعبه، فلا يجب قط أن يلتفتوا لذلك. ثم أن تلك التقسيمات التى وضعها النظام للمكونات البشرية للوطن الإرترى على أساس القوميات لم تتعد أوراق الاستفتاء، لأنها ببساطة تصنيفات مصطنعة ومستوردة لتطبيقها قسراً على الواقع الإرترى!! لذا فما زال الجبرتى جبرتى رغم أنفإسياس، وما زال الانتماء للقبيلة وال«إندا» وال«أوراجا» بقوته التاريخية ويخرج لسانه سخرية من تصنيفات الديكتاتور، وما زالت التقرينية والتقرى تعريفاً للغات وليست للبشر الذين يتحدثون بهما، حسب التعريف الإسياسى للقوميات!! ثم ما هى الأهمية أو المكسب أو الشرف الذى يناله أى مكون من مكونات الشعب الإرترى حينما يمنح لقب القومية؟ وهل كونه قومية أو مجموعة دينية أو إثنية أو قبلية إلى آخر التسميات يغير من الواقع شيئاً؟؟ وهل التسميات هى المشكلة التى تواجهنا والتى يجب أن تشغل بالنا وتستهلك جهدنا؟! أعتقد أننا إن فعلنا هذا فإما نفعل ما أراده إسياس لنا أن نفعل حينما بدأ يلعب لعبة القوميات!! إن المشكلة الحقيقية التى تواجهنا نحن الذين نريد أن نعيش فى مجتمع يسوده الوئام والسلام والتآزر بين مكوناته فى ظل نظام ديمقراطى تسوده العدالة والمساواة وتصان فيه حقوق الجميع، هو النظام القائم الذى يقف بيننا وبين تحقيق هذه الأهداف النبيلة، وإزاحته إذاً تكون المهمة الأولى والأساسية التى لا يجب أن ننشغل بغيرها وبغير توحيد رؤانا وطاقاتنا فى سبيل تقصير أمد معاناة شعبنا.

لذا لا يجب إهدار الوقت والجهد فى الجرى وراء شىء لا وجود له فى الواقع

الإرترى، والطريق الوحيد للرد على كل الأكاذيب والافتراءات والإهانا هو، كما أشرنا سابقاً، السير على طريق النضال الذى سار عليه الآباء والأجداد، الذى أكسبهم الاحترام والتقدير من كل الإرتريين المخلصين لهذا الوطن والمجردين من كل غرض. وذلك الطريق كما رأينا هو النضال مع من يشاركونهم الهدف فى سبيل هزيمة النظام الديكتاتورى وإقامة نظام ديمقراطية تسوده العدالة والمساواة وتحافظ فيه حقوق كل مكونات الوطن الإرترى، ولاسيما حقوق الأقليات، دينية أم إثنية، سواء على مستوى الوطن أو الأقاليم.

مقالات

مقالات: فى ذكرى النجاشى

بقلم: سماحة مفتى أرتريا
الشيخ إبراهيم المختار أحمد عمر

جريدة الوحدة

السبت ٧ محرم ١٣٨٥ هجرية
الموافق ٨ مايو ١٩٦٥ ميلادية

اهتم سماحة المفتى فى كتاباته التاريخية بسيرة النجاشى «ملك الحبشة» وببيان جهوده واسبقية فى خدمة الإسلام، وقد خصص سماحته كتاباً كاملاً عن سيرة النجاشى سماه.

«إزالة الغواشى عن أخبار النجاشى» وهذا مقال ينشر فى الصحف المحلية لتعريف القراء ببعض جوانب شخصية النجاشى والإشارة إلى ما ذكرته كتب التاريخ عنه المعلق.

مناقب النجاشى

هو أول مسلم فى الديار الحبشية وهو أول من سطعت على قلبه أنوار الديانة المحمدية وأتحفته العناية الإلهية بالأسبقية ألا وهو التابعى المخضرم والملك المعظم أصحمة بن أبحر نجاشى الحبشة. وهو أول ملك أرسل إليه رسول الله ﷺ بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام فأسلم، وأول من صلى على جنازته النبى ﷺ وأصحابه صلاة الغائب.

واختلف الكاتبون فى اسم النجاشى لما جاء فى صحيح البخارى ومسلم، كما اختلفوا فى اسم أبيه هل هو أبحر بالجيم المعجمة أو بالحاء المهملة.

قبيلة النجاشى ودار مملكته

وذكر المحقق ابن خلدون فى كتابه العبر بأن النجاشى من أمة الدمام التى هى أعظم أمم السودان الواقعة مساكنها على الشاطىء الغربى بالبحر الأحمر فى مقابلة بلاد اليمن التى كانت دار مملكتها تسمى «كفرة».

اتصال النجاشى مع العرب قبل الإسلام

والذى يؤخذ مما كتبه شيخ المؤرخين محمد ابن إسحاق المطلبى المتوفى عام ١٥١ هجرية، وعبدالملك ابن هشام المعافرى المتوفى عام ٢١٣ هجرية فى كتابه السيرة النبوية، والإمام السهيلى المتوفى عام ٥٠٨ هجرية فى كتابه روض الأنف، أن النجاشى قبل أن يكون ملكاً كان قد أبعد من بلاده إلى بلاد العرب لأمور سياسية تتعلق بالملك، وكان ساكناً مع رجل من بنى ضمرة بين مكة والمدينة فمكث هناك مدة من الزمن إلى أن مات عمه الذى كان ملكاً للحبشة بعد أبيه فدعى بعد ذلك هناك ليخلفه فى السلطنة وفعلاً حضر وتولاها.

النجاشى كان أعلم النصارى

وذكر الشيخ أحمد زين دحلان فى كتابه السيرة النبوية أن النجاشى كان أعلم النصارى فى وقته بما أنل على عيسى حتى أن قيصر الروم كان يرسل إليه علماء النصارى ليأخذوا منه العلم.. ويدل على هذا ما أخرجه عبدالحميد والحاكم وصححه البيهقى فى الدلائل عن أبى موسى أن النجاشى قال لجعفر ما يقول صاحبك فى ابن مريم، قال: يقول فيه قول الله، روح الله وكلمته أخرجه من البتول العذراء لم يقربها بشر، فتناول النجاشى عوداً من الأرض فرفعه وقال يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولون فيابن مريم ما يزن هذا.

كتاب النبى إلى النجاشى

وفى سنة ٦ من الهجرة، بعث رسول الله ﷺ عمرو ابن أمية الضمرى إلى نجاشى الحبشة بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة:

أسلم أنت فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول فحملت به فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالات على طاعته وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جائنى فإنى رسول الله وإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى.

كتاب النجاشى إلى النبى

ورداً على الكتاب المتقدم ذكره كتب النجاشى أصحمة إلى النبى ﷺ ما يأتى نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد رسول الله من أصحمة النجاشى، سلام عليك يا نبى الله ورحمته وبركاته، الذى لا إله إلا هو.. أما بعد:

فقد بلغنى كتابك يا رسول الله مما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت.. وأنه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه وأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين.

«نقلاً من كتاب نصب الراية لأحاديث الهداية لجمال الدين عبدالله ابن يوسف الزيلعى، وابن طولون الدمشقى فى كتابه إعلام السائلين عن كتب المرسلين».

الهدايا بين الرسول والنجاشى

وقد دارت بينه وبين الرسول ﷺ عدة أمور ودية من الرسائل والكتب والهدايا.

- أهداؤه للنبى خفين وحلة:

ومن هداياه للرسول صلى الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم خفين ساذجين، لبسهما الرسول ثم توضأ وصلى فيهما؟؟؟ أنه أهدى له حلة، لما أخرجه أبوداود وابن محة عن عائشة رضى الله عنها قالت: قدمت إلى رسول الله ﷺ حلة من عند النجاشى أهداها له، فيها خاتم من ذهب فيه فص حبشى فأخذه رسول الله ﷺ بعود معرضاً عنه ثم دعا أمامة بنت أبى العاص فقال لها تحلى بهذا يا بنية.

- إهداؤه له قارورة طيب:

ومنها أنه أهدى له قارورة غالية وهى نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن، كما أخرجه ابن عدى فى كتابه الكامل بسند ضعيف عن جابر ابن عبدالله رضى الله عنه، قال: إن أول من عمل الغالية النجاشى.

-إهداؤه للنبى ثلاث عنزات:

ومنها أنه أهدى له ﷺ ثلاث عنزات، فأمسك واحدة لنفسه وأعطى الثانية لعلى ابن أبى طالب والثالثة لعمر ابن الخطاب، فكان بلال ابن أبى رباح رضى الله عنه يمشى بتلك العنزة التى أمسكها الرسول لنفسه بين يدى رسول الله ﷺ فى العيد حتى يأتى المصلى فيركزها بين يديه فيصلى إليها النبى ﷺ صلاة العيد، ثم كان يمشى بها بين يدى أبى بكر بعد وفاة الرسول ﷺ ثم كان سعد القرظى يمشى بها فى العيدين

بين يدى عمر ابن الخطاب وعثمان ابن عفان كما أخرج أبوداود وابن ماجة.

وكالة النجاشى عن النبى فى عقد النكاح

وقد وكل الرسول ﷺ النجاشى لينوب عنه فى قبول النكاح على أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان فى مهجرها فى بلاد النجاشى بعد أن هلك عنها زوجها الأول المنتصر عبيد الله ابن جحش وقد تم ذلك فعلاً، فتولى النجاشى العقد من جانب الرسول ﷺ، ومهرها من عنده بمبلغ أربعمائة دينار، كما تولى من جانب أم حبيبة خالد ابن سعيد ابن العاص فزوجها وقبض لها مهراً ثم أقام النجاشى وليمة الزواج وبعد ذلك جهزها من عنده ومعها هدية جامعة من قميص وسروال وطيلسان وخفين وأرسلها مع شرحبيل ابن حسنة إلى المدينة وذلك كله فى عام ٧ من الهجرة.

كتاب الرسول إلى النجاشى لرد الصحابة

وذكر العلامة محمد ابن سعد الزهرى أن رسول الله صلى الله على وسلم بعث إليه مع عمرو ابن أمية بكتابين يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام وفى الثانى أن يزوجه أم حبيبة وأن يبعث من عنده من الصحابة ويحملهم، فأسلم وفعل ما أمر به وجاء بحق عاج فجعل فيه الكتابين وقال: لا تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بأظهرها.

كتاب النجاشى إلى النبى لإرجاع الصحابة

وفى سنة ٧ من الهجرة قد كتب النجاشى كتاباً أيضاً بصحبة ابنه أريحة جواباً لكتاب رسول الله ﷺ المرسل إليه صحبة عمرو ابن أمية الضمرى أن يرسل من عنده من مهاجرى الصحابة رضى الله عنهم، فأرسلهم مع ستين رجلاً من الحبشة وهذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد ﷺ من النجاشى أصحمة

سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلا الله الذى هدانى إلى الإسلام.. أما بعد:

فقد أرسلت إليك يا رسول الله من كان عندى من أصحابك المهاجرين من مكة إلى بلادى وها أنا قد أرسلت إليك ابنى أريحة فى ستين رجلاً من أهل الحبشة وإن شئت أن آتيك بنفسى فعلت يا رسول الله، فإنى أشهد أن ما تقوله حق.

والسلام عليك يا رسول الله ورحمته وبركاته

أولاد النجاشى

وأما أولاده فقد ذكر المؤرخون منهم ثلاثة أولاد:

الأول: أبونيزر، ويظهر من كلام البستانى اللبنانى فى دائرة المعارف أنه ولد له وهو فى بلاد العرب وأنه لما هاجر المسلمون إلى أبيه قد رغب فى الإسلام وأتى رسول الله ﷺ فأسلم وأقام معه فى بيته فلما قبض الرسول ﷺ صار مع فاطمة وولديها. ويقول البستانى أيضاً لما مات النجاشى اضطرب أمر الحبشة فأرسلوا إليه يطلبون حضوره ليكون ملكاً فى مقام أبيه فأبى وقال: ما كنت لأطلب الملك بعد أن من الله علىّ بالإسلام، وكان ناظراً على وقف سيدنا على ابن أبى طالب الموقوف على فقراء المدينة وابن السبيل.

الثانى: اريحة؟؟؟؟ ٨ من الهجرة بكتاب من عنده إلى رسول الله ﷺ مع ستين رجلاً من الحبشة فركب السفينة وسارت بهم حتى إذا توسطت البحر هاجت الريح عليها فأغرقتها مع من فيها كما تقدم قريباً.

والثالث: عبدالله، قيل إنه ولد فى أيام وجود الصحابة بأرض الحبشة وروى أنه لما ولد عبدالله أرسل النجاشى إلى جعفر ابن أبى طالب وكان قد رزق فى ذلك الحين بمولود، يقول له ما سميت ابنك يا جعفر، قال سميته عبدالله وسماه النجاشى عند ذلك عبدالله اقتداءً به، وأن السيدة أسماء بنت عميس زوجة جعفر كانت ترضعه مع ابنها عبدالله ابن جعفر وأنهما كانا يتواصلان بعد ذلك بسبب تلك الأخوة.. كما يؤخذ من كلام صاحب الطراز المنقوش بمحاسن الحبوش.

هجرة الصحابة إلى النجاشى

وفى شهر رجب من السنة الخامسة من بعثة الرسول ﷺ، الموافق سنة ٦١٤م قد هاجر إليه جماعة من الصحابة برئاسة صهر رسول الله ﷺ وخليفته الثالث فيما بعد عثمان ابن عفان.

وكان هذا الفوج بمثابة أول بعثة إسلامية سياسية أرسلها الرسول ﷺ إلى النجاشى لتتعرف مدى استعداده لقبول المهاجرين المسلمين إلى بلاده ومبلغ حمايته إياهم ولم يكن كل القصد من سفر أفراد هذه البعثة الفرار من المشركين وأذاهم كما يدل على ذلك قلة عددهم وقصر المدة التى أقاموها فى بلاد النجاشى وكثرة من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بعد ذلك.

عدد المهاجرين إلى الحبشة

والهجرة إلى مملكته كانت على فوجين..

الفوج الأول: يتكون من عشرة رجال وخمس نسوة منهم عثمان ابن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ثم عادت هذه البعثة بعد أشهر قليلة إلى مكة.

الفوج الثانى: قام بقيادة.. ابن عم رسول الله ﷺ جعفر الطيار، وعدد الذكور

منهم ٩٤ والاناث ٦، كما هاجر إليها من اليمن ٥٣ رجلاً برئاسة أبى موسى الأشعرى وهذا ما عدا الأطفال.. فيكون جملة المهاجرين إلى الحبشة ١٨٢.

محاولة قريش رد المهاجرين

وقد ذكر أبوفرج الأصبهانى فى كتابه الأغانى، أن عمارة ابن الوليد المخزومى وعمرو بن العاص ابن وائل السهمى كانا كلاهما تاجرين إلى النجاشى وكانت أرض الحبشة لقريش متجراً ووجهاً، ولهذا السبب اختارتهما قريش للذهاب منذوبين عنها إلى النجاشى مع الهدايا الكثيرة له ولمن حوله من رجال الدين والدولة لرد المهاجرين إليهم، وقالت لهما إذا وصلتما أرض الحبشة فادفعا لكل قس من قسس النجاشى هديته قبل أن تكلما النجاشى فى شأن المهاجرين عنده، وقولا لهم إن قوماً أشقياً من بنى عمنا اتبعوا رجلاً مجنوناً ظهر فيما بيننا بدين مخالف لما كان عليه أباؤنا ولما أنتم عليه. وقد ضيقنا عليهم كل التضييق فلما لم يجدوا مفراً من أيدينا ذهبت طائفة منهم إلى بلادكم ليفسدوا عليكم دينكم بذلك ونرجوكم إذا نحن كلمنا النجاشى فيهم أن تساعدونا على أخذهم قبل أن يكلمهم، فإذا أجابوا لذلك فقدما للنجاشى هدية واطلبا منه أن يسلمهم لكما.

رفض النجاشى رد المهاجرين

فلما حضر الرسولان إلى أرض الحبشة قدما ما معهما للنجاشى من الهدايا وطلبا تسليم المهاجرين إليهما، وبعد مداولات عديدة عملوها للتوصل إلى مقصودهم رفض النجاشى هدية قريش وقال هذه رشوة ولا حاجة لى بها كما رفض طلبهما وقال لهما والله لا أسلمهم إليهما حيث إنهم قد جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على سواى.

ارتياح الصحابة فى مهجرهم

ارتاح الصحابة فى أأمن دار مع خير جار بسط لهم جناح الإكرام والترحيب فأواهم وأحسن وفادتهم لاجتماع بواعث ذلك فى شخصية النجاشى، إذ من المعلوم بالضرورة أن إحسان الإنسان إلى الغير مصدره بواعث شتى، تارة معرفة كانت بين المحسن والمحسن إليه عموماً أو خصوصاً، وتارة بباعث المودة الإنسانية وحب الخير وتلك الصفات كلها كانت متوفرة فى هذا الرجل العظيم الذى سجل لنفسه ولأمنه فخراً مجيداً.

محبة المهاجرين للنجاشى

ولتلك الأيادى البيضاء عليهم، كان المهاجرون يحبون النجاشى.. يرون نصره نصراً لهم وحزنه حزناً لهم، وأم سلمة التى كانت إحدى المهاجرات قد روت عن حرب حصلت على ساحل البحر ضد النجاشى، حيث قالت: ثم إننا ما نشعر به أيام من نزولنا إلا وملك من ملوك الحبشة جاء لقتال النجاشى، فلما علمنا حزنا حزناً شديداً، خوفاً من أن ينتصر على النجاشى فلا يعرف من حقنا ما كان يعرفه النجاشى لنا فدعونا الله تعالى للنجاشى بالنصر على عدوه والتمكين له فى بلاده فوالله إنا لعلى هذا الحال حتى طلع علينا الزبير وهو يقول أبشروا فقد أظفر الله النجاشى وأهلك عدوه ومكنه فى أرضه فوالله ما علمت فرحاً فرحناه قط أكبر من فرحنا عند ذلك.

رجوع المهاجرين إلى أوطانهم

ومكث الصحابة فى أرض النجاشى مدة طويلة ثم رجع أكثرهم إلى موطنهم بمكة والمدينة فى السنة الثامنة من الهجرة وعلى رأسهم جعفر ابن أبى طالب، وحين

قدومهم كان رسول الله ﷺ فى فتح خيبر مع اليهود، واجتمع له فرحان: الفتح والقدوم، فعانق الرسول ﷺ جعفر وقبله بين عينيه وقال أأفرح بقدوم جعفر أم بفتح خيبر وذلك لطول الغيبة بينهما بما يقارب ١٥ عاماً.

هجرة الصحابة من طريق جدة وباضع

والمؤكد أن هجرة الصحابة كانت من جدة إلى باضع أى «مصوع». لما أخرجه محدث الشام الحافظ ابن عساكر المتوفى عام ٥٧١ هجرية، ونق لعنه الحافظ السيوطى فى جمع الجوامع وعنه نقل حسام الدين الهندى فى كنز العمال، عن أسماء بنت أبى بكر الصديق قالت كنت أحمل الطعام إلى رسول الله ﷺ وأبى وهما فى الغار فجاء عثمان إلى الرسول ﷺ، فقال يا رسول الله إنى أسمع من المشركين من الأذى ما لا صبر لى فيه فوجهنى وجهاً أتوجه إليه، فقال له النبى ﷺ أعزمت على ذلك، فقال نعم، قال فليكن وجهك إلى هذا الرجل بالحبشة يعنى النجاشى، فإنه ذو وفاء واحمل معك رقبة.. ومن رأى معك من المسلمين مثل رأيك فليتوجهوا إلى هناك وليحملوا معهم نسائهم.. فودع عثمان نبى الله ﷺ وقبل يديه وبلغ المسلمين رسالة رسول الله ﷺ، وقال لهم إنى خارج من ليلتى وسنقيم بجدة ليلة أو ليلتين فإن أبطأتم فوجهى إلى باضع.

نزول القرآن فى حقه

ونزل فى حقه كما ذكر المفسرون قوله تعالى {ومن أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنل إليكم وما أنل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب}.

وفاة النجاشى وصلاة النبى عليه غائباً

وهكذا لبث النجاشى حصناً حصيناً وملجأً أميناً للإسلام والمسلمين إلى أن لبى نداء مولاه فى شهر رجب سنة تسع من الهجرة الموافق ٦٣٠م، وعلم بذلك رسول

الله ﷺ بالوحى الإلهى وقال لأصحابه كما رواه الشيخان البخارى ومسلم، توفى اليوم رجل صالح فى الحبشة فصلوا عليه الجنازة فخرجوا إلى مصلى العيد الواقع بين سورى المدينة المنورة المعروفة بين أهلها بالمناخة، فصفهم الرسول ﷺ خلفه فصلى عليه، وكبر أربعة تكبيرات واستغفر له.

حفظ المسلمين أيادى النجاشى

ولما كان نجاشى الحبشة من أبطال هذه المآثر السامية فقد حفظ له التاريخ أجل مناقب لا يمحوها مرور السنين، وما زال مسلموا العالم عموماً ومسلموا الحبشة خصوصاً يذكرون مآثره ويحتفظون بذكراه من تلك العصور السحيقة إلى هذا اليوم، تقديراً لخدماته المشكورة وحفظاً لمآثره المبرورة، إذ الاحتفال بالعظماء ليس لذاته فقط بل لأعمالهم الخيرية وخدماتهم الإنسانية حتى ينهج؟؟؟؟؟

الجبرتة بين الحقائق التاريخية والعواطف القومية

بقلم: أحمد بيان

الجبرتة فى أرتريا مجموعة بشرية تقطن فى مناطق مختلفة من الهضبة الأرترية، يجمع بينها رابط الدين واللغة. وهى مجموعة لها خصائص اجتماعية، واقتصادية، وثقافية متميزة. ولغة الجبرتى وإن كانت هى اللغة التيجرينية التى يتحدث بها عموم أبناء الهضبة، إلا أنها تتميز بكثرة المفردات الإسلامية والعربية فيها. والجبرتة على مر التاريخ كان لهم دور مشهود فى الثبات على دينهم ومقاومة محاولات التنصير الإجبارية. فقد قاوم الجبرتة محاولات الملك يوهنس وقائده راس ألولا وآخرون. وبحكم إقامتهم فى المرتفعات، حيث الأغلبية النصرانية، فقد نالهم من العنت ما لم ينل غيرهم فى المناطق التى يكثر فيها المسلمون. وفى فترة الأربعينيات كان أبناء الجبرتة فى مقدمة من نادى باستقلال أرتريا، وكانت مناطقهم بحكم مجاورتها لأنصار اثيوبيا من أكثر المناطق تضرراً وتعرضاً للقتل والإرهاب. ومما يذكر للجبرتة بالإعجاب كسرهم للحصار الاقتصادى المفروض عليهم من قبل متعصبى النصارى، حيث منعوا فى بعض المناطق من امتلاك الأراضى الزراعية وحمل السلاح، فاتجهوا نحو العمل التجارى وبرزوا فيه بروزاً واضحاً وملحوظاً. وأشهر البيوتات التجارية فى أسمرة تنتمى إلى الجبرتة، مثل عائلات أبره، حاج عبده، جونافر، كحساى، حاج حسن وغيرهم. ودور أثرياء الجبرتة فى دعم المشاريع الخيرية فى أرتريا واضح غير منكور، وخاصة فى العاصمة أسمرة والمرتفعات. وعمامة الجبرتة معلم بارز مميز،

حافظ عليها الجيل السابق، حتى مع اللبس الأفرنجى الأوروبى.

وبعد سقوط منجستوا واستقلال أرتريا وظهور التقسيمات القومية، وضع الجبرتة ضمن قومية التيجرينية رغماً عنهم دون الالتفات إلى اعتراضاتهم،مما جعل أبناء الجبرتة يحسون بالظلم والتحامل عليهم. وقد كان تعامل رئيس أرتريا مع قضية الجبرتى تعاملا متعجرفا سفيها، ولم يتوانى من السخرية بهم والنيل من بعض زعمائهم أمام جمهور من الناس. وقد أدى هذا إلى تداعى أبناء الجبرتة للدفاع عن حقوقهم، وجمع صفوفهم، وإبراز تاريخهم، وهذا حق طبيعى لأبناء الجبرتة لا يعابون ولا يلامون عليه بأى حال من الأحوال. ولكن هذا التداعى مع وجود ما يبرره نحى به البعض منحى إندفاعياً عاطفياً بعيداً عن الموضوعية، والمنهجية. وحرصا على قضية إخواننا الجبرتة، فلابد من طرح قضيتهم للنقاش والحوار حتى تؤطر تأطيراً صحيحاً وتعالج معالج متزنة. وهذا المقال محاولة لفتح نقاش موضوعى فى هذه القضية فى إطار ما يخدم قضية الوطن والدين.

إن معاناة الجبرتة اليوم هو جزء من معاناة الشعب الأرترى كله. أرتريا اليوم بلدة أشبه ما تكون بضيعة يملكها فرد أو أفراد معدودون يتصرفون فيها كيفما شاءوا. ووصف أرتريا بالدولة فى واقعها الحالى مغالطة حقوقية وواقعية. فأرتريا بوضعها الحالى ضيعة أفراد ولا تمتلك مقومات دولة معاصرة ذات دستور ومؤسسات وهيئات. ونتيجة لهذا الوضع المأساوى، فأرتريا اليوم هى رهن مصالح، وأهواء، وحماقات أفراد من الناس. ووسط هذا الجو تتراكم المظالم بكل أشكالها وألوانها، ومنها ما يتعرض له أبناء الجبرتة من غبن وتهميش، وعلى هذا فقضية الجبرتة هى جزء من المعاناة التى يعانيها الشعب الأرترى بكافة شرائحه وطوائفه. وحلها لا يكون حلاً جزئياً وإنما حلاً شاملاً يعالج أصل المعاناة العامة للشعب الأرترى من جذورها.

لاشك أن عجرفة النظام الأرترى هى التى دفعت بعض أبناء الجبرتة إلى التركيز على قضيتهم والانحسار نحوها. ولكن قضيتهم على أهميتها قضية فرعية ثانوية، لا ينبغى أن تتصدرر الهم الإسلامى فى أرتريا ولا الهم الوطنى العام. وقد كان لتركيز بعض أبناء الجبرتة على قضيتهم آثار سلبية واضحة على العمل الإسلامى والوطنى. ولذلك يشكو بعض القائمين على بعض الجاليات الأرترية الإسلامية فى أوروبا من توجه بعض أبناء الجبرتة لإنشاء جمعياتهم الخاصة، وعقد مؤتمراتهم الخاصة، وحفلات العيد الخاصة بهم مما يؤدى إلى إضعاف الجمعيات الإسلامية الأرترية التى تشمل الجميع، وتشرذم كل مجموعة قبلية لوحدها، كما هو مشاهد فى بريطانيا. وهنا مكمن الخطر. فإذا إنكفأ الجبرتة على أنفسهم، والساهو على أنفسهم، والدنا كل على أنفسهم، والبنى عامر وغيرهم فهنا تحدث الطامة، وتؤدى سياسة فرق تسد مفعولها فى تفتيت وتشتيت المسلمين وشغلهم بقضايا فرعية لا وزن لها.

وفى هذا الجو المشحون بالإحساس بالغبن، سعى بعض أبناء الجبرتة لإبراز تاريخ ودور الجبرتة، وهو أمر مقبول وطبيعى، ولكنه كان فى بعض الأحيان على حساب الحقائق التاريخية. فهناك من يحاول أن يثبت أصلاً مشتركاً للجبرتى ويقول بإنهم من أحفاد النجاشى، أو أحفاد عثمان بن عفان، أو أحفاد عقيل بن أبى طالب. ومنهم من يزعم بأن الرسول ﷺ هو الذى سماهم الجبرتة إلى آخر ذلك من الدعاوى التى لا يوجد لها أصل صحيح من كتب السُنة الصحاح، ولا من كتب التاريخ المعتمدة. وهذا المسلسل يستمر مع إخراج لفظة الجبرتة من مدلولها التاريخى الواسع وحصرها فى دائرة الجبرتة بمفهومه الأرترى المحدود. والمعروف هو أن لفظة الجبرتة مشتقة من مملكة «جبرة»، أشهر الممالك الإسلامية فى شرق أفريقيا. ونتيجة لشهرة تلك المملكة فقد نسب فى مصر والشام كل من يأتى من الحبشة إليها. وهذه المملكة تمثل التاريخ

الإسلامى المشترك لمسلمى شرق أفريقيا عامةً ولا يصح حكرها على طائفة الجبرتة. وفى الأزهر أسس رواق الجبرتى «وهو مسكن الطلبة القادمين من الحبشة بعمومها» وأصبح كل من ينتمى إليها يسمى جبرتيا، وقد يكون هذا الطالب دنكليا فى أصله، أو سيهاويا، أو بنى عامريا، أو أوروميا أو جبرتيا بالمفهوم المحلى فى أرتريا. ولذلك يعتبر من المجازفة التاريخية أن نسمع ما يتردد كثيراً من أن المؤرخ المشهور عبدالرحمن الجبرتى كان جبرتيا ينتمى إلى مجموعة الجبرتة بمفهومها المحلى. والذى يغيب عن بال من يزعم هذا هو أن عبدالرحمن الجبرتى، كان جبرتياً لقباً وأصله من الحبشة، لكن لا يعرف أصله القبلى بيقين، فلعل أصوله كانت أصول دنكلية، سيهاوية، أورومية.. إلخ، وفى التاريخ الإسلامى كان هناك من هو أكبر مقاماً من عبدالرحمن الجبرتى ألا وهو المحدث الكبير الإمام الزيلعى مؤلف نصب الراية «وزيلعى لقب كان يطلق على القادمين من شرق أفريقيا قبل اشتهار لقب الجبرتة». فكما لا يجوز للصوماليين أن يختزلوا التاريخ ويقولوا إن الإمام الزيلعى صومالى لمجرد نسبته إلى زيلع، كذلك لا يجوز لبعض إخواننا الجبرتة ممارسة هذا التحريف ونسبة هذا المؤرخ إليهم وحدهم. إن التاريخ الزيلعى والجبرتى تاريخ مشترك لأبناء شرق أفريقيا عموماً، ولا يصح للقبليات والقوميات أن تلعب دورها فتجزأ وتشرذم هذا التاريخ المشرق الكبير. إن حقائق التاريخ ينبغى أن تدرس وتقرر بعيداً عن العواطف والدغدغات القومية والعاطفية. والجبرتة أكرم وأشرف من أن يرقع لهم تاريخ مزور، ولهم من ماضيهم القريب ما يغنى عن هذا التحريف، وهم جزء أصيل من التاريخ الإسلامى الأرترى بعمومه وسعته وشموله. ومن المؤسف أن قدمت دراسة بهذا المعنى المحرف فى المؤتمر الإسلامى الأفريقى المنعقد فى الخرطوم مؤخراً. وكان خيراً للجبرتة وغيرهم أن يقدم فى مؤتمر عالمى بهذا الحجم، التاريخ الإسلامى الأرترى العام لا التاريخ القبلى المحرف.

إن إدخال الاعتبار القومى والقبلى فى تقرير الحقائق التاريخية يؤدى إلى تضخيم دور البعض وتهميش دور الآخرين، وحصر دائرة التاريخ فى إطار ضيق هامشى. ولعلى هنا أشير إلى ما يظل يكرره البعض وبإلحاح ملحوظ تارة وأخرى إلى انتماء الزعيم عبدالقادر كبيرى إلى الجبرتة، وهو وإن كان واقعاً، أمر ثانوى، حيث إن عظمة كبيرى لا تأتى من كونه جبرتياً، ولكن من كونه وطنياً إسلامياً بارزاً، وهو فخر لكل الأرتريين ولا يضيره شيئاً إن كان جبرتياً أو غيره. وكثير من الأرتريين لا يعرفون قبيلة إدريس عواتى، ولا يهم هذا، فعوايت أب الجميع، وتاريخه تاريخ للشعب كله، وهو فوق القبليات والعرقيات الضيقة.

إن مستقبل المسلمين فى ارتريا فى خطر، تاريخهم، تراثهم، قيمهم، لغتهم الثقافية، هويتهم، كيانهم.. وخير للجميع أن يعملوا معاً للدفاع عن تراثهم المشترك، ويترفعوا عن القبليات والعرقيات، ويتجهوا نحو دراسة تاريخهم بشموله، والاعتزاز بزعمائهم وعلمائهم بعمومهم. وتاريخ المسلمين فى ارتريا يكون كبيراً ومشرقاً بشموله، ويكون هزيلاً شاحباً حين يختزل ويجزأ ويوزع إلى تفاريق قبلية وعرقية.

تاريخ الجبرت عمل عظيم فشكراً

للأستاذ الفاضل محمود لوبينت

بقلم: أبو فايد

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم هب لى إيمان الجبرت والساهو

وصبر التجرى ووفاءالبلين

وطيبة النارا والكونما

وشجاعة الحدارب وغيرة العفر

وابعثنى مع لاجئيهم يوم يبعثون

لا يمكن لأى مؤرخ أن يتصدى لتاريخ الإسلام والمسلمين فى إرتريا خاصة والقرن الإفريقى عامة دون أن يكون ملما بالدور الروحى والثقافى المشع الذى اضطلع به الجبر، لأن تاريخ الإسلام فى هذه المنطقة مرتبط إلى حد كبير بالجبرت، ولن أجانب الصواب إذا قلت إن الباحث عن التراث الإسلامى المخطوط والمطبوع لعلماء إرتريا قد لا يظفر بالكثير إذا لم تقع يده على ما تركه لنا أعلام الجبرت، أعلام زانوا سماء بلاد الطراز الإسلامى، أعلام كلما رن ذكرها فى وسط من الأوساط المحمودة انبعث طنينها عالياً مدوياً فى الأجواء حتى تعلو أضواءه المتجاوبة إلى الوسط الذى انبعثت عنه، أعلام بعثت تياراً فى روح الإسلام، وساهمت فى بناء حضارته، أعلام كانت وما زالت تجرى متدفقة فى حياة الأجيال الماضية والحاضرة، فى إرتريا وإثيوبيا وجيبوتى والصومال وبلاد الحرمين الشريفين، حتى أرض الكنانة مصر، فكان ذلك كله لمنبت

هؤلاء الأعلام «بلاد الطراز الإسلامى» عنواناً يشرّفها عند نفسها وتزهوا به ويعرّفها عند الناس، من هؤلاء الأعلام العالم العلامة المؤرخ الذى طار ذكره فى الأمصار الشيخ عبدالرحمن الجبرتى، والشيخ إسماعيل الجبرتى، والشيخ على الجبرتى.. إلخ.

وترجم أبوالقاسم الشيخ محمد تاج الدين لمجموعة من علماء الجبرت وأعلامهم فى كتابه الموسوم بـ «إعلام الأغبياء بحياة عظماء إثيوبيا من العلماء والأولياء وسلاطين الإسلام وأساطين الأصفياء» فليرجع إليه من أراد المزيد.

ومن أعلامهم الذين زانوا الثقافة الإسلامية فى إرتريا الشيخ مزمل بن فقيه محمد بن فقيه على الجبرتى نزيل «عدى إيتاى» بمدينة سرايى والشيخ صالح بن سالم بن فقيه محمد أحد الدعاة الكبار والفقهاء العظام الذى عاش فى القرن السابع الهجرى وهو أحد الدعاة السبعة المشهورين فى اريتريا وتجراى ضريحه فى دبارو.

ومن أبرز رجالاتهم السياسيين الشهيد الشيخ عبدالقادر كبيرى، أحد أركان قيادات المشروع الوطنى الإريترى الذين وضعوا اللبنة الأولى لتأسيس وطن اسمه إريتريا.

ودبارو فى ظل حكم الجبرتيين ضاهت فى مكانتها العلمية جزيرة دهلك تنبكتو إريتريا.

والجبر كغيرهم من أبناء إرتريا معروفين بالنشاط وحب العمل، إلا أنهم تميزوا كما يقول «ليتمان»: بحب العلم والإقبال عليه، فبجهود علمائهم وتفانى دعاتهم كُتب لشعلة الإسلام أن تبقى متقدة فى «تجراى» إحدى أقدم معاقل المسيحية وأكثرها نفوراً عن الإسلام وكرهاً له، وبمساهماتهم الجبارة نشأت مملكة «أوفات» التى يطلق عليها المسعودى والمقريزى «جبرت» أو «جبرتية» إحدى أكثر الإمارات الإسلامية قوة ومنعة من بين إمارات بلاد الطراز الإسلامى.

ورغم ما تعرض له الجبرت من اضطهادات دينية إلا أنهم ظلوا حاملين شعلة الإسلام، وسوف تبقى هذه الشعلة متقدة بإذن الله جيلاً بعد جيل ما بقى فى أديم إرتريا

رجال يحملو مشعلها، وليس أدل على بقاء تلك الشعلة متأججة فى النفوس من قصة وفد الجبرت العظيم إلى «أسياس أفورقى» وفد ما كان يحمل معه السيوف السمهرية، ولا المهارى البجاوية.. إنه وفد يحمل كلمة حق يعرف جيداً استحقاقاتها عند سلطان جائر «العربة دونها الموت!! ونرفض وحدانية الهوية القائمة على التجرنة».

لقد كان ذلك الموقف الذى سربل كل إرترى حر برداء الفخار بمثابة وعى عميق يتضاءل أمامه وعى المتمسلمين الذى يشعرون بالخجل من واقعهم وماضيهم الحضارى، ووعى أغلبية المسلمين الذين صمتوا، بعضهم تحت مبرر الخوف، وبعضهم نفاقاً وتذللاً، وبعضهم الآخر تعصباً فى غير مكانه لما سُمى بلغة الأم، إنه موقف برهن به «الجبرت» لكل من رآهم أو سمع بهم أو استمع إليهم - أن أمة الإسلام فى إرتريا لم ولن تمت.

أما نسب الجبرت فحسبى أن أقول كما قال الشاعر:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يـراق فى جوانبه الدم

يكفى الجبر شرفاً أن سميت المنطقة يوماً باسمهم فقد أورد المسعودى فى كتابه معجم البلدان: «كان يطلق عل شواطئ البحر الأحمر بلا د الطراز الإسلامى بينما كانت الدواخل تعرف ببلاد الجبرت» بل لهم الشرف الأكبر بنسبة كل مسلم إليهم فقد كان أباطرة إثيوبيا يطلقون على كل مسلم «جبرتى» لاشتهار الجبر بحمل راية الدعوة الإسلامية والدفاع عنها تماماً كما نقول: وهابى نسبةً إلى الإمام محمد بن عبدالوهاب لكل من اتبع مذهبه، ولنا أمثلة حية من تاريخ منطقتنا فكلمة «حبشت» كانت فى البداية علماً على قبيلة عربية معروفة ثم نسب إليها كل سكان المنطقة إما لسطوتها الدينية أو السياسية أو هما معاً، ومثلها كلمة الأجاعز، حيث كانت علماً لقبيلة عربية معروفة أيضاً ثم أطلقت على اللغة التى تحدث بها سكان المنطقة بعد أن

فرضت تلك اللغة سيطرتها.

أما ما يقوله بعض الجهال أو المتجاهلين من أن الجبرت لا يشكلون قبيلة واحدة أو قومية واحدة ولا عنصراً واحداً، بل هم تجمع عنصرى ينتمى إلى قبائل وبطون إرتريا مختلفة، أو قولهم: قومية فى طور التكوين، فمردود وأنا أتسآءل: وهل توجد قومية إرترية بل حتى قبيلة ترجع إلى جد أعلى واحد؟

إن هذا الخلط إن كان بريئاً فى الأصل فهو يرجع أساساً إلى جهل هؤلاء بالعلاقات التى تربط أفراد أى تجمع من التجمعات الإرترية سواء كان هذا التجمع قبيلة أو قومية، ولو أخذنا على سبيل المثال «بنى عامر» فإننا نجد أن بنى عامر بصورة أساسية عبارة عن تجمع لمجموعة من البطون والقبائل تشكلت عبر مراحل فرضته ظروف مختلفة سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية، ويلاحظ أن لكل فرع ضمن هذا التجمع نسبه وأصوله التى انحدر منها والتى ترجع كلها إلى أصول عربية مختلفة.

ومع هذا فإن هذه الفروع توحدت واندمجت جميعها تحت هذا الاسم «بنى عامر» وتطعمت على مر الأجيال من دم بعضها البعض وأصبحت كتلة واحدة لها إحساس واحد ومصير واحد وهوية واحدة، وهكذا بقية التجمعات الإرترية، وهذه الظاهرة مألوفة لدى الشعوب السامية والحامية التى ننحدر منها، فالأنساب العربية نفسها لا تخرج عن هذا الإطار يقول جواد على: «عند تفسيره للأنساب العربية «أن النسب ليس بالشكل المفهوم المعروف من الكلمة وإنما هو كناية عن حلف يجمع قبائل توحدت مصالحها واشتركت منافعها فاتفقت على عقد حلف فيما بينها فانضم بعضها إلى بعض واحتمى الضعيف بالقوى».

ويقول: «وإذا دام هذا الحلف أمدا، وبقيت هذه الرابطة التى جمعت شمل تلك القبائل متينة، فإن هذه الرابطة تنتهى إلى نسب يشعر أفراد الحلف أنهم من أسرة

واحدة تسللت من جد واحد ».

وليست هذه الظاهرة قاصرة على العرب، بل كانت معروفة عند سائر الشعوب السامية والحامية ويرى المستشرق «كولد تسهير» أنه لفهم الأنساب عند العرب لابد من معرفة الأحلاف والتحالف فإنها أساس تكون أنساب القبائل، فإن هذه الأحلاف التى تجمع شمل عدد من البطون والعشائر والقبائل، هى التى تكون القبائل والأنساب.

وقومية الجبر لا تخرج من هذه القاعدة، ولم تكن ظاهرة تعدد الأصول والأعراق لتمنع ذلك مادامت قد ذابت هذه الأعراق فى بعضها، وتشابكت مصالحها وآمالها واتحدت فى صنع مصيرها وأهدافها.

والمستشرقون الذين أرخوا للتركيبة السكانية الإرترية أمثال نايدل ومارتيني. ذكروا «الجبرت» كقومية منفصلة شأنهم شأن التجمعات الإرترية الأخرى.

ويجب أن لا ينظر إلى كل ما أوردناه من الزاوية العكسية وبالتالى يجب تجنب عقدة ما يسميه المؤرخ الأفريقى جوزيف كى زيربو «النزعة المتحفية»لأن مصطلح القوميات مع اعترافنا بوجوده إلا أنه لم يكن فى يوم من الأيام عقبة فى طريق تواصلنا وتلاقحنا وتلاحمنا وفى كل جوانب الحياة فى نسق حضارى موحد كأغصان مورقة مزهرة انبثقت من دوحة واحدة هى دوحة الدين الواحد وهو الإسلام، ولغة التواصل الحضارى الواحدة وهى العربية، ويدعم كل ذلك شعور متأصل نابع من ذاكرتنا ومحسوس نلامسه كل لحظة فى واقعنا بأننا من أرومة واحدة فى أعراقنا البعيدة والقريبة فى عقيدتنا فى آمالنا فى تفكيرنا فى مستقبلنا.

إلا أن هذه الشعور الذى تدعمه كل تلك المعطيات والتى عاشت شعوبنا منسجمة فى ظله قرون طويلة ما كان ليروق لواضعى مشروع «نِحنان علامانان»

الذين عملوا من الوهلة الأولى على القضاء على هذا الشعور وذلك بنهج سياسة الإلحاق القسرى، وبخلق حواجز جليدية بين القوميات تحت حجج ينطوى عليها مخاطر لا يعلم نتائجها إلا الله.

وللأسف الشديد أن قيادينا وباحثينا بدل أن يعتدّوا بترابطهم الروحى والحضارى، وقع الكثير منهم فى شباك «هقدف» فى حين أدرك شركاؤنا أن لا أهمية لنقاء الدم وفكرة الجنس الخالص القح فى وحدتهم وترابطهم بقدر ما تكمن وحدتهم فى دينهم وتفكيرهم وآمالهم ومصالحهم المشتركة، ولهذا نجد مثقفيهم يدأبون على العمل دون هوادة فى تمجيد كل ما من شأنه أن يساهم فى وحدتهم فنراهم يلتقطون الكلمة حتى ولو كانت أسطورة فيصنعون منها تاريخاً، ويأخذون بحرف نقش منذ قرون ويجعلون منها روابط تجمع الشتات، وينقبون عن أثر بعيد قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً ليوثقوا صلة قومهم ويزيدوها قوة ومتانة، فإنك تقرأ عن سكان حماسين وأكلى جوزاى بأنهم ينحدرون من جد واحد يشار إليه بـ «الملك القادم من وراء البحار ومن أولاده الثلاثة: مالوك، شالوك، فالوك». وكان الأولى بمثقفينا أن يترسموا خطى إخواننا لأن معطيات الوحدة وأسبابها متوفرة عند المسلمين أكثر من غيرهم.

ولعل مبادرة الأخ الفاضل الأستاذ «محمود لوبينت» بكتابة تاريخ «الجبرت» تكون بداية جادة لأبحاث تنفد ركام الغبار عن وجه إرتريا الحقيقى، لأن تاريخنا يجب أن يكتب ليكون منبع إلهام للأجيال الصاعدة للكُتّاب والموسيقيين وللعلماء على اختلاف تخصصاتهم وبالتأكيد لرجل الشارع، وإن المرء ليشمئز من فكرة أن يجتمع مجموعة من الأشخاص فى الخرطوم أو فى أديس أبابا أو «كاسل» دون أن يعرفوا شيئاً عن تاريخ بعضهم مع أنهم جميعهم يتوسدون تربة بلد واحد، ورغم الادعاءات بالأخوة القائمة بينهم والهدف والمصير المشترك الذى يتشدقون به فإنهم فى الواقع

يلتقون كغرباء، بينما الوحدة تفترض سلفاً أن يعرف كل إرترى الكثير إن لم نقل كل شيء عن تاريخ ارتريا الثقافى والسياسى.

سألنى أحد الباحثين العرب أن أعيره كُتباً أرّخت لحياة مفجر الثورة الإرترية الاجتماعية والثقافية والسياسية والجهادية، فقلت له وأنا أحك رأسى من الخجل «قد تكون هنالك كتب لم أحصل عليها، لكن عليك بالمواقع الإلكترونية الإرترية فقد تشفى غليلك»!!

عندما قال الحاكم الإنكليزى للزعيم الشهيد إبراهيم سلطان «سنرمى بك وبشعبك فى فم الأسد» قال الشهيد عبد القادر كبيرى يومها: سننتزع حقنا وإن كان فى موقع؟؟؟؟ فى فم الأسد منعة، وسيكتب أبناء إرتريا تاريخهم »، «حكاها لى المرحوم العم حجى عن إبراهيم سلطان».

يجب أن نكتب تاريخنا، يجب أن نعرف عن الشيخ مزمل الجبرتى كما تعرف الشعوب عن أعلامها الثعالبى فى تونس والبغدادى فى العراق وعمر المختار فى ليبيا وأحمد بابا التمبكتى فى مالى وعبدالله حسن فى الصومال ومحمد أحمد المهدى فى السودان. وبالطبع يجب أن نعرف عن القديس أبّا جريما، وأبّا أفتصا، وأبّا أرجاوي.

قد يقول البعض «إن المجتمع الإرترى من أكثر المجتمعات الإنسانية ارتباطا بتاريخه» كما يقول «نايدل»، وقد يقول البعض الآخر مهلاً! لا تخف!! فإن التاريخ هو الشيء الوحيد الذى يرفض الأدلجة والتحريف بقوة النفوذ السياسى والعسكرى وبالتالى سنكتب تاريخنا فى الظرف المناسب!! قد تكون هذه الحجج الهروبية صحيحة لحين، ولكن فى نفس الوقت نقول: إن المجتمع الذى عناه «نايدل» ذاهب إلى الانحلال، كما أن التاريخ يرفض التحريف والأدلجة بالقوة إذا ما كان هذا التاريخ مكتوباً.

وتتعاظم مهمة كتابة تاريخ إرتريا أكثر فأكثر مع النتائج الرهيبة للتزييف على

عقول الناشئة الإرترية التى أكلت ومازالت تأكل الأطباق المسمومة على مقاعد الدراسة ومن وسائل الإعلام، فالمعلم ورجل الإعلام فى دولة إرتريا باستثناء الشرفاء المبعدين أو المراقبين هما من طبقة موجهة ومزيفة مقتلعة من جذورها ومنقطعة عن هموم شعبها، طبقة لا يتوفر فيها حتى الحد الأدنى من تعاليم دينها وتقاليد قومها، وتستنكف من ذكر رموزها بل وتتنكر لماضيها وانتمائها الحضارى أيضاً.

يجب الخروج من حالة البيات الشتوى قبل أن يصبح الوقت قد تأخر كثيراً، يجب أن نتحلى بروح التضحية وحس المسئولية، صحيح أن الأوضاع السياسية والظروف الاقتصادية المحيطة بكل فرد؛ وعدم وجود جهات إرترية تتبنى مثل هذه المشاريع تشكل عقبات حقيقية، إلا أنه بقليل من الجرأة مع توفر روح التضحية والتصميم يمكن أن نقدم مؤلفات مؤقتة على الأقل للأجيال الصاعدة طالما فى الظرف الراهن لا نستطيع أن نقدم لها موسوعات بشكل نهائى.

وإذا كان التاريخ هو الذاكرة الكلية الشعوب فإننا نرى الشعوب وقد سخرت إمكانيات بشرية ومادية هائلة لتدوين تاريخها، وإنك لتعجب أن ترى السياسيين والأدباء والفنانين بل حتى العوام وقد حفظواأحداث وشخصيات صنعت تاريخهم عن ظهر قلب!.

وهكذا يجب على المؤرخ الإرترى أيضاً، عندما يعيد ماضيه إلى الحياة أن يخلق لنا ثروة روحية تكون بمثابة ينبوع متدفق ودائم ومتعدد الجوانب للإلهام، فصمود المجاهد السلطان أحمد ملك «دهلك» بسترته الحريرية المطرزة بالذهب أسمر غامف اللون أسود الشعر شأن سائر بلاد العرب السعيدة الممتدة حتى مكة كما يصفه أندريا كورسالة- أمام الغزاة البرتغال وانتصارات «على نورين» على الدراويش، ومواجهته ألف رجل مسلح من الدراويش بفارسين اثنين فقط لتحرير ابنته وبعض نساء بنى

عامر، وبطولات الأمير يوسف كافل ومقاومته المهديين والرأس ألولا ودفاعه المستميت عن كرن ضد الغزو الإيطالى؛ ستثير بلا شك الروائيين وكتاب الدراما الإرتريين، كما أن الشقاء الذى عاناه أبطال إرتريا الوطنيين فى جزيرة «نُخرة» القاحلة كل ذلك يشكل ثروة لا تقدر.

لذلك يجب أن يكون التاريخ حياً ومكتوباً، وبخاصة للناشىء فى السن الذى يبنى فيه الخيال أحلاماً تعد النفوس للحياة.

يجب أن يسمع الفتى الإرترى المسلم كلام الله الطاهر الذى ينساب من شفاه الصبيان الضارعة فى خشوع فى حلقة الشيخ مزمل الجبرتى القرآنية، وأن يستنشق دخان نار القرآن لخلوة الشيخ «عبود» والشيخ «أب مروى»والشيخ «لباك» وأن يسمع وقع حوافر وصهيل الخيول التى كان يقودها حامد إدريس عواتى بحماسته الوطنية، وأن يتحد من خلال مذابح عوناً ومسديراً وشِعب وعد إبراهيم.. مع سر التضحيات الإرترية العظيمة.

صحيح أن ذلك العمل الضخم يتطلب جهوداً مادية وبشرية منظمة وضخمة يعنى أنه عمل دولة ومؤسسات!!

ومع ذلك فإن المسئولية التاريخية تفرض علينا إنقاذ ما يمكن إنقاذه لأن كل يوم يمضى يتسبب فى اختفاء شواهد ثمينة، وكل شيخ يموت يحمل معه إلى القبر قطعة من وجه هذا الوطن الحبيب.

أمَا آن الأوان أن نحقق ولو جزء من أمنية الشهيد عبدالقادر كبيرى

«سيكتب أبناء إرتريا تاريخهم»!!

وكل عام وأنتم فى دائرة الفعل والتاريخ

المختصر فى تاريخ الجَبَرْ «١»

بقلم: محمود أحمد لوبينت

«لقد جبرتنى الحبشة مرتين».. حديث نبوى شريف

«إنما جُبِرَ أمر محمد بملك الحبش».. قريش

عيسى يس

يحكى أن اساياس أفورقى، بعد أن تدنت شعبيته وفقد تأييد الكثيرين من المسيحيين فكر فى استقطاب المسلمين ولم يجد سوى وسيلة واحدة اعتقد أنها كفيلة بأن تحببه لديهم وتكسبه تأييدهم المطلق فاستدعى قيادة حزب «الجشع» وقال لهم:

«أريد أن أبلغكم بأننى قد أسلمت.. واعتباراً من تاريخه سيكون اسمى «عيسى ياسين» واسم زوجتى السيدة «زهرة» واسم ابنى «ابراهيم».

وخيم على الجميع صمت رهيب.. وبعد برهة قصيرة.. طلب «ناى ازجى كفلو» الإذن لكى يتحدث ثم وقف وقال موجها كلامه إلى «اساياس»:

- «أتا عشا حماسيناى»- يا أيها الحماسيناوى الغبى! -هل تعرف ماذا سيقول الناس عنك؟

- لا أدرى.. قل لى!

- سيقولون عنك «جبرتى»

وهنا ثارت ثائرة اساياس وتفوه بكلمات بذيئة ثم قال:

- «كاب جبرتيس وديني يحيشني» وترجمتها: أفضل أن يقال عني وديني / أي من لادين له - بدلاً من جبرتي.. «!!!!.»

فلماذا يتحسس اساياس من كلمة «جبرتي»؟

إساياس يعاني من عقدة «الجبر» فهو لا يريد أن يسمع هذه الكلمة لأنها كابوس يطارده في الليل والنهار ويخرج له لسانه ساخراً مستهزئاً ويسفه أحلامه ويحجمه ويثير أعصابه ويفقده توازنه.. لذلك نراه ينتفض ذعراً ويتفجر غضباً إذا ما ذكر «الجبر» أو تحدث الناس عن تاريخهم وأصولهم أو حقهم في أن يطلق عليهم الاسم المحبب لديهم والذي يعبر عن هويتهم الإسلامية ويربطهم بتاريخهم العريق وأمجادهم.

لا يمانع اساياس في أن يكون «للأساورتا» موقف من إلحاقهم بقومية «الساهو» وتفضيلهم بأن يطلق عليهم «الاساورتا فقط لا غير».

ولا يمانع أيضاً في أن يلبي رغبة «البني عامر» في اعتبارهم «قومية قائمة بذاتها وليس كجزء من قومية «التيجّرى».

ولن يمانع أبداً في الموافقة على فصل «الحباب» عن «التيجّرى» اسوة باخوانهم وجيرانهم «البني عام».

وسوف يكون متعاوناً إلى أقصى حد مع «الدهالكة» أي «سكان أرخبيل دهلك» إذا ما قرروا الانفصال عن قومية العفر.

لأن ذلك كله يخدم سياسته الرامية إلى «تفتيت» المسلمين الارتريين وتشرذمهم وبث «البغضاء والتعصب القبلي» بينهم «وتوزيعهم» على قوميات ومجموعات عرقية «لا يجمعها جامع» أو «لغة» أو «هدف مشترك».

لكنه لن يقبل ولن يرضى بأن يستقل «الجبر» عن قومية «التيجرينيا» لأن ذلك

معناه تجريد هذه القومية من «عمامة المسلم» وحصرها فى اطارها الطائفى الصحيح لتصبح قومية مسيحية صرفة. وهذا ما لا يريده هو ومن معه من غلاة المتعصبين والمتعطشين للسلطة والنفوذ.

لذلك أقدمت «الجبهة الشعبية» عام ١٩٩٠ على اغتيال الدكتور ياسين محمد أبرا ،عضو «الشنجـّو» البرلمان الاثيوبى والمحاضر فى جامعة أسمرا لأنه تجرأ ودافع جهاراً نهاراً عن حقوق «الجبر» وأعد دراسة مختصرة «١٤ صفحة» عن تاريخهم وذكر المقومات التى تؤلهم لأن يكونوا «قومية مستقلة بذاتها» ومنفصلة تماماً عن قومية التجـّرينيا.

وقد اطلع اساياس على هذه الدراسة وقال «إنه أحس اثر قراءتها بالغثيان..»

وما قاله اساياس عن «الدراسة» اعتبره -شخصياً- اعترافاً صريحاً بأن الشعبية «هى التى نفذت عملية الاغتيال هذه.. والسبب «دفاع الدكتور ياسين عن الجبر» وتصديه للمحاولات التى كانت تبذل لاقناع الجبر بقبول تصنيفهم ضمن قومية التيجـّرينيا.. وهو التصنيف الذى اعتمدته الشعبية وكذلك الدرق».

كما اعتقلت «الشعبية» فى عام ١٩٩٢م وفدا «يتكون من ثلاثة أشخاص» أرسلته «الجالية الجبرتية» فى السعودية إلى اسمرا لتوضيح وجهة نظر «الجبر عامة» حول تصنيفهم ضمن قومية التجرينيا وتقديم التماس «لاساياس» بالموافقة على اعتبارهم قومية مستقلة هى قومية «جبرتى».

علماً بأن اساياس استقبل فى نفس الفترة وفداً يمثل «عبيتى عدى أساورتا» أى أعيان الاساورتا، وأوضح لهم موقف الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا من «تسمية الشعوب»، كما جاء فى الخبر الذى بثته اذاعة دمصـّى حفاش/ صوت الجماهير. ولم يتخذ ضدهم أى إجراء مع أنهم جاءوا ليبلغوا «اساياس» اعتراضهم على تصنيفهم ضمن قومية الساهو.

اتفق مع اساياس

لأسباب لا ترضى أو تسر اساياس، أقر وأعترف وأبصم بالعشرين بأننى اتفق معه فى سياسته الرامية إلى «تجّرنة» ارتريا «يا ساتر!!» فإذا ما نجح هو ومن معه فى هذا المسعى ونفذ مشروعه «الحضارى» ستكون النتيجة عكسية ومخيبة لآمال وأمانى كل الذين يحلمون بخلق «ارتريا واحدة ينتمى شعبها إلى قومية واحدة ويتحدث لغة واحدة- بدلاً من تسع قوميات ولغات» فما هى هذه النتيجة العكسية؟

سينقسم الشعب الارترى إلى قسمين لا ثالث لهما:

مسيحى ومسلم

فكل مسلم يتحدث بالتجّرينية سيصنف نفسه «كجبرتى» وبالتالى سيتمسك المسلمون جميعهم بقومية الجبرتى ستصبح لواء ينضوى تحته كل المسلمين الارتريين بينما يستقل المسيحيون بالتسمية المفضلة لديهم «التجـّرينيا»

ولن يقف الأمر عند هذا الحد، بل «سيتمكن الجبر من فرض اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب التيجّرينية وهذا ما لا يرضى المتعصبين «الاساياسيين» لأن الحلم سينقلب إلى كابوس يقلق منامهم ويحول مضاجعهم إلى حقول ألغام.. وبدلاً من أن تتحقق «نبوءة اساياس» وأحلامه السعيدة ستتحقق مخاوفه لتصبح حقائق ثابتة وواقعاً مريراً وفشلاً ذريعاً لمشروع تجّرنة ارتريا.. وبذلك ينقلب السحر على الساحر أو كما يقول الناطقون بالتجّرينية «درهو صـّحتر وعيلا محريديئآ توصـّىء» «تقضى الدجاجة يومها فى النبش ثم تكشف عن سكين تذبح به»

لذلك اقول:

أهلاً وسهلاً بتجـّرنة ارتريا..

لا أعلم متى وأين ينتهى هذا «البحث» وإن كنت فى بعض الأحيان أفكر فى أن أضع له نهاية قسرية حتى لا يمل القارئ من متابعة الحلقات التى تجاوزت حدها.. ثم أتراجع وأقنع نفسى بالاستمرار، لأن البحث لا يزال مستمراً وما تناولته حتى الآن قليل من كثير.. لذلك دعونا نلقى نظرة على نتائج البحث المتعلقة بالجبر:

اختلفت النظرة إلى الأخوة الجبر تبعاً لاختلاف الأشخاص الذين حاورتهم أو رصدت ردود أفعالهم.. ويمكن تصنيفهم كالتالى:

الفئة الأولى: الناطقين بالتجرينية من المسيحيين

الفئة الثانية: الناطقين بالتجرينية من المسلمين من غير الجبر

الفئة الثالثة: الناطقين بلغات أخرى

الفئة الرابعة: الجبر أنفسهم

الفئة الأولى: الناطقين بالتجرينية من المسيحيين

اتفق معظم المنتمين إلى الفئة الأولى على رفض «التسمية: جبرتى» جملة وتفصيلاً.. ورأوا فى التمسك بها دعوة إلى الطائفية الهدف منها النيل من «قومية التجّرينيا» واضفاء صفة «المسيحية عليها » وأن من يطالب بها يعانى من أزمة هوية «ترديد لكلام اساياس».

وأبدى معظمهم جهلاً بتاريخ الجبر.. ووجودهم فى ارتريا ودورهم فى النضال ودفاعهم المستميت عن دينهم وحقوقهم ووطنهم.. وعند سؤالهم عن عدد الجبر فى ارتريا كانت الردود «لا أعلم لم يخطر ببالى هذا السؤال لا أذكر أننى قرأت عن هذا الموضوع من قبل ليس السؤال بذى أهمية بالنسبة لى..»

وقال بعضهم إن الجبر قدموا من تيجّـراى فى عهد الامبراطور يوهنس هربا بدينهم واستقروا فى «سرايى واكلى جوزاى» واكتسبوا هذه التسمية لأنهم «أجبروا» على التنصر أو كانوا يدفعون «جـّبرى» أى الضريبة أو الجزية حتى يسمح لهم بالاستمرار فى دينهم أو لأنهم «أجـّبرت» وتعنى «العبيد» بالجّـعزية.

وذكر معظمهم أن الجبر فى ارتريا لا يملكون أراض زراعية «وهذا دليل على انهم ليسوا «دقى ابات» «أى أصليين أو ابناء بلد» وانهم ارتبطوا بالتجارة وبعض الأعمال الوضيعة كالنسيج والخياطة والصياغة وأنهم خدموا النظم الاستعمارية التى تعاقبت على ارتريا بإخلاص وأنهم كانوا ضد الثورة الارترية منذ اندلاعها وحتى التحرير.

وزعموا «أن اهتمام الجبر خلال مرحلة النضال انصب على شراء العقارات والسيطرة على التجارة والاقتصاد وبناء المساجد «!!» فى اسمرا وبعض المدن الارترية والتركيز على تعليم أبنائهم وبناتهم فى الخارج.

ورغم أنهم انكروا قيام الجبهة الشعبية -قبل التحرير- باغتيال «الدكتور ياسين محمد ابرا» أحد رموز الجبر، إلا أنهم ذكروا أنه إذا صح هذا الزعم فإن «للشعبية» مبرراتها بالتأكيد.. وأكدوا أنهم لم يسمعوا بالدراسة التى كتبها عن الجبر «سأعود إلى هذه الدراسة فى الحلقة القادمة بإذن الله».

الفئة الثانية : الناطقين بالتجرينية من المسلمين من غير الجبر

ذكر معظمهم أنهم لا يمانعون فى اطلاق اسم «قومية التيجـّرينيا» على «الجبر» لأنهم -حسب اعتقاد هذه الفئة- جزء من هذه القومية «حتى وان اختلفت ديانتهم عن الغالبية العظمى من سكان المرتفعات الارترية».

وفى المقابل رفضوا أن يتم تصنيفهم «هم» ضمن قومية التيجّـرينيا لأنهم ينتمون

إلى قومية «الساهو» أو «الاساورتا» أو «البلين» أو «التيجرّى» وقالوا بإن تحدثهم باللغة التجرّينية ليس بمبرر كاف لإلحاقهم بقومية التجّرينيا.

من ناحية أخرى، قال بعضهم بإن قبولهم بأن يصنفوا ضمن قومية «الجبر» سيجعلم «مثار للسخرية» من قبل الآخرين الذين ينتمون مثلهم إلى نفس العرق أو الجنس «تحديداً الساهو والاساورتا» وسيطلقون عليهم «عندا بلينتو» أى المسيحى الصغير بدلاً من «يى تليى ساهو» أى السياهاوى الضائع.

بينما أكدت قلة قليلة منهم أن التقسيم أو التصنيف «القومى أو العرقى» أسلوب تتبعه الشعبية لتفتيت المسلمين الارتريين وكسر شوكتهم وفتنة يراد بها فى النهاية فرض الهيمنة المسيحية عليهم.. وطالبوا «المسلمين الارتريين» بالوقوف مع الأخوة الجبر وتأييد مطلبهم «ولو من باب النكاية باساياس ومؤيديه من المتعصبين المسيحيين»

الفئة الثالثة: الناطقين بلغات أخرى

قال معظمهم إنهم لا يعرفون الكثير عن تاريخ الجبر أو عن أوضاعهم فى المرتفعات الارترية وأكدوا على ضرورة «التواصل» مع الجبر وتفهم وجهة نظرهم وتأييدها.. «وهذا يستدعي-كما قالوا- أن يبادر الأخوة الجبر أنفسهم بالاتصال بأخوانهم المسلمين. وتوضيح وجهة نظرهم بدلاً من الانغلاق على أنفسهم واتاحة الفرصة للعدو المشترك بالانفراد بهم».

الفئة الرابعة: الجبر أنفسهم

اتسم موقفهم جميعاً بالتمسك بقوميتهم والاعتزاز بهويتهم.. وأكدوا على أن الاسم «جبرتى / جبـر» أقدم تاريخياً من «تجّرينيا» التى لا يتجاوز عمرها ٥٠ عاماً ومن «ارتريا» التى أطلقها الاستعمار الإيطالى على المستعمرة فى عام ١٨٩٠.

وذكروا أن الغرض من الحاقهم قسراً بقومية التيجرينيا هو «لإعطاء هذه القومية بُعداً غير طائفى»، أما القبول بمطلب الجبر معناه «القبول بتصنيف قومية التيجرّينيا كقومية صليبية بحتة»، وأكد معظمهم بأنهم يحفظون انسابهم ويحتفظون بسلسلة نسبهم مكتوبة.

ولام معظمهم بعض اخوانهم المسلمين على عدم تعاطفهم معهم.. وأكدوا أنهم يعولون كثيراً على تأييدهم واعترفوا بالتقصير من الجانبين فى هذا المجال.

وللحقيقة أقول: لم يصادفنى حتى الآن «جـبرتى» واحد يقبل «بان يقال عنه انه من «قومية التجـرّينيا» باستثناء بعض الإخوة من «النبرا» الذين استقر آباؤهم فى اسمرا وبحكم الاختلاط تخلوا عن لغتهم الأصلية «التيجرى أو الساهو» وأصبحوا من الناطقين بالتيجرينية.. فهؤلاء «وأكرر بعضهم لا كلهم» لم يمانعوا فى أن تصنفهم الشعبية ضمن قومية التيجـرينا.

فمن هم الجبر ومن أين جاءت التسمية؟

الإجابة على هذا السؤال ستكون موضوع الحلقة القادمة بإذن الله.. وإلى أن نلتقى أستودعكم الله..

المختصر فى تاريخ الجبر «٢»

«لقد جبرتنى الحبشة مرتين» - حديث شريف

إنما جبر أمر محمد بملك الحبش - قريش

من هم الجبر ومن أين جاءت التسمية "جبرتي"؟

لو طرح هذا السؤال فى الفترة التى سبقت تصنيف الشعب الارترى إلى قوميات أو تقسيمه إلى مجموعات عرقية أو ثقافية أو لغوية من قبل الجبهة -أو الشعبية- أو الدرق لما تحسس الكثيرون من الإجابة عليه بتوسع أو بإيجاز -كل حسب امكانياته- وذلك باعتباره موضوعاً عاماً يتعلق بتاريخ شعب من شعوب ارتريا واثيوبيا أيضاً.

لكن بعد انفراد «حزب الجشع» بالحكم فى البلاد والتحكم فى مصائر العباد تعتبر الإجابة على هذا السؤال «سياسة» والخوض فى السياسة يعد ضرباً من ضروب التهور بالنسبة للأشخاص الذين يؤثرون السلامة ويغلبون مصالحهم الشخصية على ذكر الحقيقة. والحديث عن الجبر «بحق وصدق» أصبح مع الأسف الشديد مبرراً كافياً لاكتساب عداء الجبهة الشعبية التى تصنف كل من يتحدث عن تاريخهم وحقوقهم كـ«معارض أو طائفى أو ويانى أو عجامى أو مأجور يهدف إلى تقسيم الشعب الارترى ليخدم اهداف العدو.. إلخ» وهذه الباقة من الأوصاف وغيرها اهديت إلى عندما تناولت «الجبر» كموضوع للحديث فى غرفة «ارتريا للجميع/ فى البالتولك للدردشة الصوتية» قبل أكثر من عام..

لكن ما علينا.. فأنا -والحمد لله- جبرتى بالاختيار والتبنى والمصير وبشهادة صادرة من جهة رسمية معتمدة من قبل أقدم جامعة فى العالم «؟» ولى الفخر والأجر على الله

جبرتى: تسمية تاريخية

جبرتي.. تسمية قديمة مرتبطة بالبعثة المحمدية والهجرة إلى الحبشة.. إذا ذكرت التسمية «جبرتي» تبادرت إلى الذهن معان سامية ومضامين يفتخر بها كل مسلم بأرض الحبشة.. «وما أوسعها من أرض رغم انقسامها إلى عدة دول» والتسمية «جبرتي» لها مدلول تاريخى وأبعاد ثقافية وارتباط بالجوار.

ويذكر أن الدكتور ياسين ابرا كان -قبل اغتياله عام ١٩٩٠- قد أعد دراسة عن الجبر فى ارتريا «باللغة التيجرينية» تعرض فيها لأساس التسمية وركز على تميز الجبر كقومية قائمة بذاتها، موضحاً الفرق بينهم وبين قومية «التـجرينيا» من الناحية الثقافية والاجتماعية والعادات والتقاليد وتعرض لتاريخ الجبر السياسى والنضالى ودفاعهم عن دينهم عبر القرون.

وكم كنت أتمنى لو تكفل الأخوة الجبر بترجمة الدراسة وهى عبارة عن ١٤ صفحة إلى اللغة العربية ونشرها لتعريف الناطقين بغير التيجـرينية من الارتريين المسلمين بتاريخ «الجبر» وموقفهم من تقسيم الشعب الارترى إلى قوميات وأسباب تمسكهم بالتسمية التاريخية «جبرتى».

المسلمون فى الحبشة والتسمية: جبرتى

يعتقد المسلمون فى الحبشة أن النبى ﷺ عندما استقبل وفداً أرسله النجاشى إليه قال «هؤلاء هم جبرتى» أى سندي. ومن هنا بدأت تسمية «مسلمي» الحبشة بـ«الجبر» وتعنى القوى الشديد السند والعضد والمتمسك بدينه أو بتعبير زماننا

«صاحب موقف داعم».

ويذهب بعضهم إلى أن التسمية جاءت من مقولة قريش «إنما جبر أمر محمد بملك الحبش» أى تقوى وثبت وتدعم الإسلام بفضل ملك الحبشة الذى رفض تسليم أو إعادة المهاجرين المسلمين إلى قريش.

وقد استخدم المسلمون العرب الاسم للإشارة إلى مسلمى الحبشة جميعهم على اختلاف مناطقهم ولغاتهم كما اعتمدها الرحالة والمستشرقون الغربيون للإشارة إلى مسلمى المنطقة المعروفة بالحبشة.

وكانت التسمية تطلق فى الحبشة على كل المسلمين ثم اقتصر اطلاقها على المسلمين «الناطقين بما تسمى حالياً التيجرينية» الموجودين فى إقليم تيجراى وفى الهضبة الارترية «وتحديداً فى الأقاليم الثلاث: سرايى واكلى جوزاى وحماسين».

المسيحيون فى الحبشة والتسمية: جبرتى

كان المسيحيون فى الحبشة وحتى عهد قريب يطلقون الاسم «جبرتى» على كل المسلمين.. تماماً كما كانوا يطلقون اسم « أمارا/ أمحرا» أو «بيت أمارا» على المسيحيين و«بيت اسرائيل» على اليهود الذين عرفوا فيما بعد بـ «الفلاشا».

ويعتقد بعض المسيحيين أن الاسم «جبرتى» يعنى «جـبّرتى» أى دافعى الضريبة، بينما يعتقد بعضهم أنه مشتق من كلمة «جَـبْر» التى تعنى فى الحبشية القديمة والعربية وكذلك العبرية «عبد» ومنها «جبرئيل» أى عبد ئيل وهناك من يعتقد أن التسمية مشتقة من «جـبرى» بالحبشية القديمة وتعنى «المزارع أو الفلاح.

أصول الجبر

يعتقد بعض الجبر أنهم من نسل أحمد النجاشى، بينما يؤكد بعضهم أنهم من

سلالة أمير المؤمنين عثمان بن عفان من زوجته رقية ويقول بعضهم إنهم ينحدرون من أصول عربية هاجرت إلى الحبشة على فترات متعددة واستقرت فى الهضبة، بينما يرى البعض أن أصلهم يعود إلى قبيلة «جبر» العربية الموجودة فى الحجاز.. وفى ارتريا يعتقد البعض أنهم من أصول «بلوية».

وهناك أسر تنتمى عرقياً إلى بعض القبائل الارترية -غير الناطقة بالتيجرينية- لكن هذه الأسر بعد أن استقرت لفترة طويلة فى المرتفعات الارترية «تجبرت» ومن هؤلاء «النبرا».

وفى إقليم سرايى يوجد أحفاد الشيخ آدم الكنانى الذى قدم من المغرب وادخل الطريقة السمانية الصوفية إلى سراى فى منتصف القرن التاسع عشر وللشيخ آدم الكنانى ضريح بالقرب من «عبى عدى» فى سرايى وله «حولية» يحتفل بها أحفاده والكثيرين من الجبر بالإضافة إلى اتباع الطريقة السمانية.

ومن الجبر من يحدد أنه من نسل سيدنا اسلم بن عقيل بن أبى طالب، كما ذكر المقريزى فى كتابه «الالمام بمن فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام»، حيث قال: إن قوماً من قريش استوطنوا فى ايفات.. فمنهم «من يقول إنه من بنى عبدالدار ومنهم من يقول إنهم من بنى هاشم ثم من ولد عقيل بن أبى طالب. قدم أولهم من الحجاز ونزلوا فى أرض «جبرة» التى تعرف اليوم بجبرت وهى أراضى الزيلع واستوطنوا وأقاموا بمدينة لوفات «يقصد ايفات» وقد ذكر بن سعيد سلطنة ايفات - التى كانت تعرف باسم «جبرا وجبرتا» وحدد موقعها الجغرافى وهو الدرجة الثامنة عرضاً ودرجة ٥٧ طولاً طبقاً للفلك العربى.

ويذكر أنه فى هذه المنطقة سادت سلطنات وممالك إسلامية ومنها المملكة المخزومية وسلطنة ولسما وسلطنة عدل «عد على» التى يعتقد العفر أن سلطنة أوسا هى امتداد لها..وقد ذكر بن فضل الله العمرى فى كتابه «مسالك الابصار فى ممالك

الامصار» سبعة ممالك فى هذه المنطقة هى «١» مملكة ايفات «٢» مملكة داوارو «٣» مملكة ارابينى «٤» مملكة هدية «٥» مملكة شرخا «٦» مملكة بالى «٧» مملكة دارا.. واطلق عليها ممالك الطراز الإسلامى لأنها على جانب البحر كالطراز له وهى البلاد التى يقال لها بمصر والشام بلاد الزيلع.

جبرتى فى الصومال

تنتسب قبائل «داروت» الصومالية إلى الشيخ جبرتى بن إسماعيل وهو من أشراف الحجاز قيل إنه هاجر من موطنه فى سنة ٧٥ هجرية لكن سفينته تحطمت قبالة الساحل الصومالى فاستقر فى المنطقة وتزوج امرأة من قبيلة «حرلا» وخلف ولداً اسماه «هرتى»، ولقب فيما بعد بـ«داروت» وإليه تنتسب قبائل «دولباهانتى ودشيشى ومجرتين وورسنجلى» ومن أشهر قبائل داروت «الاوجادين» الموجودين بالحبشة ومنهم المجاهد الكبير الشيخ محمد عبدالله حسن ١٨٦٠-١٩٢٠ الذى أطلق عليه الانجليز «الملا المجنون» مع انه كما يقول سبنسر تريمنجهام فى كتابه / الإسلام فى اثيوبيا ص ١٣٣ « لم يكن مجنوناً ولم يكن ملا كذلك..».

جبرتى فى مصر

أشهر من عرف بهذا الاسم «فى مصر والعالم العربى» الشيخ عبدالرحمن بن حسن الجبرتى مؤلف كتاب «عجائب الأخبار فى التراجم والآثار» المعروف اختصاراً بتاريخ الجبرتى ويعد كتابه من أهم مصادر تاريخ مصر الحديث وخصوصاً الفترة بين أواخر القرن الثامن عشر الميلادى حتى عام ١٨٢٥ وهى آخر سنة أرخ فيها المؤلف وتوفى فى آخرها.

ويذكر الجبرتى أن جده السابع وسميه عبدالرحمن هاجر فى أوائل القرن العاشر الهجرى من اقليم جبرت- الذى يقع إلى الغرب من ميناء زيلع- إلى جدة ثم إلى مكة حيث جاور بها وحج مراراً ثم جاور بالمدينة سنتين قضاهما فى الدراسة على من لقيهم بالحرمين من كبار الشيوخ.

ومن المدينة ارتحل إلى مصر لتلقى العلم بالأزهر فاستقر بها وتزوج وولد له وعلا شأنه واتصل بالعلماء إلى أن اختير شيخاً لرواق الجبرت.

وعند الكلام عن وفاة والده كتب فصلاً عن موطن أجداده الأوائل «جبرت» فقال:

«وبلاد الجبرت بلاد معروفة تسكنها هذه الطائفة وهم المسلمون بذلك الإقليم ويتمذهبون بمذهب الحنفى والشافعى. وينسبون إلى سيدنا أسلم بن عقيل بن أبى طالب. وهم قوم يغلب عليهم التقشف والصلاح ويأتون من بلادهم بقصد الحج والمجاورة فى طلب العلم ويحجون مشاة ولهم رواق بالمدينة المنورة ورواق بالجامع الأزهر بمصر..»

رواق الجبرت بالأزهر الشريف

اعتمد نظام الدراسة بالجامع الأزهر على نظام الأروقة التى بلغ عددها ٣٠ رواقاً ومنها رواق المغاربة والشوام والجبرت.. إلخ، وكان لكل من هذه الأروقة شيخه ومكتبته الخاصة وكانت هذه الأروقة قبل تطوير الأزهر الشريف وإنشاء مدينة البعوث الإسلامية تستقبل القادمين للدراسة فى الأزهر وتسهل أمورهم وتتولى اطعامهم وايوائهم. وقد استخدم رواق الجبرت بالأزهر الشريف كعنوان بريدى ثابت للطلبة وبعد إنشاء مدينة البعوث الإسلامية اقتصر استخدامه على اقامة العزاء.. ولا أعلم إذا كانت جامعة الأزهر قد ألغت هذه الأروقة أم أبقت عليها للذكرى والتاريخ.

لوبينت.. الجبرتى

وأذكر عندما جئت إلى القاهرة عام ١٩٦٣، كان الالتحاق بالأزهر هو الخطوة الأولى الواجب اتباعها للحصول على الاقامة والمنحة والسكن فى مدينة البعوث واستدعى ذلك استخراج شهادة تعريف من مشيخة رواق الجبرت. وحصلت على شهادة تثبت أصلى وفصلى وموطنى وعليها توقيع وختم الشيخ محمد ادريس «نائب شيخ رواق الجبرت» وكان ارتريا، أما شيخ الرواق فقد كان اثيوبيا «ألم أقل لكم إننى جبرتى بشهادة الشهود؟».

وذكر لى أحد الأصدقاء ان الشيخ ابراهيم المختار أحمد عمر كان قبل ان يتولى

الإفتاء فى ارتريا يعرف نفسه بـ «الجبرتي/ الزيلعي» ثم تخلى عن ذلك وبدأ يعرف نفسه «بالمينيفيراوى» جريا على عادة المشايخ الذين تولوا القضاء والإفتاء فى ارتريا من قبله «هذا إذا اعتبرنا الحكم العثمانى والمصرى للمنطقة جزء من تاريخ ارتريا».

جبرتى فى اليمن

أشهر من عرف بالجبرتى فى اليمن هو الشيخ إسماعيل الجبرتى الذى ارتبط اسمه ببعض الأحاديث المنسوبة إلى النبى ﷺ مثل حديث «يس لما قرأت له» والذى يعتبره البعض ضعيفا بينما قال الإمام السخاوى فى كتاب «المقاصد الحسنة»: ان لا أصل له بهذا المعنى وهو عند أصحاب إسماعيل الجبرتى باليمن قطعى

ويعتقد المسلمون فى الحبشة «وكذا الصومال وجيبوتى وارتريا» بأن هذا الحديث صحيح ويقرأون سورة يس عملاً بالحديث القائل: من قرأ يس غفر له ومن قرأها عند طعام خاف قلته كفاه ومن قرأها عند ميت هون عليه ومن قرأها عند امرأة عسر عليها ولدها يسر عليه ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن احدى عشرة مرة ولكل شىء قلب وقلب القرآن «يس».

وتوجد فى اليمن المدرسة الجبرتية التى تأسست على يد الشيخ «إسماعيل بن عبدالصمد الجبرتى «٧٢٢-٨٠٦ هجرية» وهو أحد رجالات الصوفية فى عهد الدولة الرسولية.

كما توجد باليمن الطائفة الجبرتية - التى أنشأها أحمد بن إسماعيل الجبرتى - وهى فرع من فروع الطريقة الرفاعية الصوفية.

جبرتى فى السعودية

هناك أسر سعودية كثيرة تعرف باسم «الجبرتى» وكانت توجد فى مكة المكرمة والمدينة المنورة قبل توسعة الحرمين الشريفين أوقاف باسم «الجبرتى» وقد اشتهر باسم «الجبرتى» شيوخ أجلاء ممن كانوا يلقون الدروس فى شتى العلوم الدينية فى

أروقة الحرمين الشريفين.

ثم ماذا؟

هذا هو التاريخ الذى لا يريد البعض أن يسمعه أو أن يذكر أمامه.. لأنه تاريخ حقيقى والحقيقة يجب أن تغيب.. وهذه هى التسمية التى لا يريد غلاة المتعصبين من مؤيدى اساياس اعتمادها لأنها ستجرد «قومية التيجرّينيا» من العمامة واعتمادها اعتراف بمرجعية المؤرخين العرب والمسلمين إذا ما تعلق الأمر بالتاريخ والجغرافيا وعلاقات شعوب المنطقة ببعضها البعض.. وهو ما لا يريد هؤلاء ذكره أو تذكير الناس به «لأن ارتريا الحديثة لا علاقة لها بهذا الماضى البغيض حسب اعتقادهم».

وإلى أن التقى بكم فى الحلقة القادمة – والتى سيكون موضوعها عن الجبر أيضاً – استودعكم الله مع وعد أن يكون ذلك قريباً جداً إن شاء الله.

ولم يكتبه إلا صاحبكم الذى اختفى عنكم لفترة قصيرة «تدللاً وتعززاً» عملاً بالحديث الشريف: زد غباً تزدد حباً.

فالإكثار من الزيارة ممل والإقلال منها مخل.

المختصر فى تاريخ الجبر «٣»

تاريخ الجبر فى ارتريا واثيوبيا مرتبط أيضاً بالاضطهاد الذى تعرضوا له على مر العصور والعهود.. لأن ملوك الحبشة -مثلهم مثل الأباطرة البيزنطيين- كانوا يلقبون أنفسهم «بحماة الكنيسة» وحاربوا الإسلام بشتى الوسائل مستعينين بالكنيسة التى وصفها الامبراطور هيلى سلاسى عام ١٩٤٥ بقوله:

الكنيسة كالسيف والحكومة كاليد

ذلك فإن السيف لا يمكن أن يقطع بنفسه ما لم تستخدم اليد.

تبرير الاضطهاد

والأحباش- وهم بالتحديد الأمهرا والتجارو- بارعون فى «إعادة الأسماء إلى عدة أصول مختلفة لتبرير تصرفاتهم وأعمالهم أو لدعم ادعاءاتهم التى لا أساس لها من الصحة.. «فهم يعيدون التسمية» جبرتى «إلى اصول مختلفة حسب الحالة والحاجة والهدف.

فتارة يقولون انها مشتقة من: «جَـبَّرْتى» أى دافعى الضرائب، وطوراً يزعمون بانها مشتقة من: «جَبِر» أى عبد، وأحياناً يقولون إنها مشتقة من: « جَـرَى» أى مزارع أو فلاح أو مستأجر أراض، وأخيراً يقولون بإن الاسم مشتق من «كلمة مجبور بالعربية».

وليست هذه محاولات بريئة لمعرفة أصول الكلمة أو الجذر الذى اشتقت منه ولكنها وسيلة لتبرير «التعامل» مع الجبر تبعاً للمعنى أو مدلول الكلمة الأصل. يقول الأحباش فى أمثالهم: معاملتك للـ «جـبـار» أى مستأجر الأرض كند لك يعنى أن تسمح له بأن يحكمك..»

والجبر هم مستأجرى أراض - وليسوا بملاك - لأن القوانين الملكية حرمتهم من امتلاك الأراضى وسمحت لهم باستخدامها كمستأجرين فقط، وهو ما يطلق عليه فى اكلى جوزاى «سـدبى».

لا يسمح الأحباش للعبد بأن يدلى بشهادته فى المحكة لأنه لا يملك حريته.

وفى عهد الملك يوهنس الرابع لم يسمح للجبر بالادلاء بالشهادة فى المحاكم لأنهم عبيد.

وكان الأحباش ينظرون إلى الحرفيين والتجار-وهم دافعو ضرائب- باحتقار

والجبر يعملون بالتجارة وبممارسة الأعمال الحرفية التى كان الأحباش يتأففون منها وممن يقومون بها لذلك كان المسيحيون الأحباش يسلمون على الجبر بيدهم اليسرى.

وأخيراً اشتقاق الاسم من «مجبور» وهذا يدعيه «حبشا ارتريا»

والمقصود بذلك الإدعاء «جبر ارتريا» لأنهم أجبروا على ترك ديارهم فى عهد الملك يوهنس الرابع وبالتالى فهم ليسوا مواطنين أصليين وإنما لاجئين.

الجبر والإضطهاد

فى عهد يوهنس الأول ١٦٦٧-١٦٨٢، أصدر الملك يوهنس الأول فى عام ١٦٦٨ قانوناً يحظر على المسلمين السكنى مع المسيحيين فى عاصمته جوندر.. ثم جدد إصداره عام ١٦٧٨ وحظر على الجبر تملك أراض والعمل بالزراعة.

وهكذا انضم الجبرالمسلمون فى الهضبة إلى اليهود والأرمن فى قائمة المضطهدين الممنوعين من مزاولة أى نشاط زراعى لكنهم أصبحوا تجاراً وحرفيين ماهرين ووضعوا تجارة المنطقة تحت قبضتهم.

وينقل تريمنجهام عن دكتور بونسيت، وهو طبيب زار الحبشة عام ١٦٩٨ -١٧٠٠م لعلاج الملك اياسو الأول من الجذام، قوله:

إن المسلمين الذين يطلق عليهم «جَبَـرْتى» أى عبيد يسكنون فى الجزء الأسفل من مدينة جوندر وفى حى خاص. وان الآحباش لا يأكلون معهم ولا يتناولون لحوماً مما يذبحه المسلمون ولا يشربون من قدح استخدمه «مسلم» إلا اذا باركه رجل متدين بقراءة بعض الادعية وبعد ان ينفث فيه ثلاث مرات حتى يطرد الروح الشريرة. وعندما يقابل المسيحى مسلما يسلم عليه بيده اليسرى وهى علامة احتقار. « ترافاسكيس ١٠٢ »

فى عهد يوهنس الرابع

«الملك يوهنس متعصب دينى - مثلى تماماً- وله مهمة يحرص على تنفيذها ألا وهى تنصير كل المسلمين» الجنرال جوردون فى رسالة لشقيقته.

أصدر الامبراطور يوهنس الرابع - السيئ الذكر - فى عام ١٨٧٨م قانوناً يفرض على المسلمين واليهود والجالا والوثنين بالتنصر.. وأعطى المسيحيين -غير الارثودكس- مهلة سنتيين والمسلمين ثلاث سنوات والوثنيين خمس سنوات لتغيير دينهم.. وأجبر موظفى الدولة على التنصر أو ترك مناصبهم..ولم يسمح للجبر بالادلاء بشهادتهم فى المحاكم. وكأنهم عبيد..

ولم يجد الجبر بدا من ترك ديارهم واللجوء إلى البلدان المجاورة: ارتريا والسودان وبلاد الجالا والصومال..

وبعد أن قتل الدراويش الملك يوهنس فى «متما عام ١٨٨٨ م» وقطعوا رأسه «مثلما فعلوا بالجنرال جوردون المتعصب مثله» تولى الحكم من بعده الامبراطور منيليك الثانى الذى اتجه إلى شرق وجنوب الحبشة لاخضاع المسلمين وتوسيع مملكته بقوة السلاح.. «فعاد معظم الذين هربوا بدينهم إلى ديارهم بينما استقر الباقون فى المناطق التى استقبلتهم كلاجئين.

الجبر وقانون لجوتشوا «في حماسين»

فتح لجوتشوا «قانون» يرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر وأعيدت صياغته وإضافة نصوص جديدة إليه عدة مرات منذ ذلك الحين وآخر طبعة -مزيدة ومنقحة ومعدلة منه- صدرت فى عام ١٩٦٠ م فى اسمرا. ويوجد نص فى هذا القانون يقول: «لا يستحق ان يتملك الأرض شخص لم يستجب جده لنداء الملك يوهنس الخاص بالمشاركة فى الحرب» والحرب المقصودة هنا هى حملة الملك يوهنس ضد الثورة المهدية الإسلامية فى عام ١٨٨٨ م.

وفى نهاية الكتاب قائمة بأسماء الأشخاص الموقعين عليه ومن بينهم: الحاج ابوبكر جمول وعربى سالم «وقد وقع احدهم اسمه بالعربية ان لم تخن الذاكرة».

وجود اثنين من الجبر ضمن هذه القائمة دليل على ان الجبر فى الحماسين ليسوا ضيوفا أو قادمين جدد من المناطق الأخرى وانما هم من الناحية النظرية «دقى ابات» أى مواطنين من الدرجة الأولى ومتساوين مع المسيحيين.

لكن ما لم يفطن إليه -الجبر الموقعون على القانون- هو موافقتهم من حيث لا يدرون على حرمان «الجبر» فى لجوتشوا من تملك الأرض الزراعية لأن أجدادهم لم يشاركوا فعلاً فى الحرب التى شنها يوهنس على المهديين فى السودان لأنها كانت امتدادا للحرب الدينية التى شنها على الجبر.

انتفاضة الجبر ضد سلطان العرب والمسلمين فى ارتريا

بعد احتلال القوات الإنجليزية لارتريا عام ١٩٤١ تغيرت أوضاع وتبدلت أحوال وظهرت متغيرات على السطح وتحرك البعض لاستعادة حقوق أو تصفية حسابات قديمة. وكان الضباط الانجليز يواجهون فى كل مكان بعرائض تطالب باستعادة اراض أو اعادة النظر فى احكام أو عزل أو مكافأة زعيم أو مسئول محلى «سير

كندى ترافاسكيس / ارتريا مستعمرة فى مرحلة الانتقال ١٩٤١-١٩٥٢ صفحة٤٣».

سأنقل لكم هنا بعض المعلومات التى جمعتها من مصادر خاصة- مع التأكيد على اننى لم استطع «أولاً» التأكد من التاريخ الذى جرت فيه الأحداث، «ثانياً» لم اتمكن حتى الآن من توثيق هذه الأحداث لأننى لم أجد اية اشارة اليها فى المراجع التى بحوزتى.. لكننى اثق فى رواتها وكلهم أحياء ان شاء الله..

كان عدد العرب/ اليمنيين المقيمين فى ارتريا انذاك يقدر بعشرة الاف شخص يعمل معظمهم فى التجارة. وكانت علاقتهم بالارتريين - مسلمين ومسيحيين - ممتازة إلى ان تقدم «باخشب باشا» أحد اثرياء العرب واعيانهم البارزين بطلب غريب إلى الادارة البريطانية لتعيينه «سلطانا للعرب والمسلمين فى ارتريا».

وقد تزامن ذلك مع التماس تقدم به بعض اليمنيين يطلبون فيه من الادارة البريطانية:

«١» أن تنشئ محاكم تمييز خاصة بهم للفصل فى القضايا التى يكون العرب طرفا فيها.

«٢» أن يستثنوا من المثول امام المحاكم الشرعية «التى كان كل قضاتها من الارتريين».

«٣» أن يعاد النظر فى مساواتهم بالمواطنين فيما يتعلق بتحديد حصصهم من الاحتياجات التموينية ومنحهم بطاقات تموين خاصة.

وتسرب الخبر وانتشر بسرعة البرق ليصبح حديث كل الجبر.

وكان من الطبيعى أن تثور ثائرة الجبر على باخشب والعرب قاطبة. فكانت انتفاضتهم الداعية إلى مقاطعة العرب واخراجهم من ارتريا. ونظمت مظاهرات فى اسمرا تردد صداها فى المدن الارترية الاخريالتى كانت تتواجد فيها جاليات عربية مثل مصوع وأخذ المتظاهرون يرددون «يا غريب بلدك».

هكذا ساءت العلاقة بين قطبى الرحى الجبر واليمنيين- الذين كانوا يتنافسون فى

أعمال التجارة وامتلاك العقارات إلى جانب تنافسهم فى بناء المساجد وانشاء المعاهد الدينية والمدارس والأعمال الخيرية.. وتلبدت سماؤهم بالغيوم التى تنذر بالخطر.

- أحس العرب -لأول مرة- بانهم غرباء غير مرغوب فيهم وكان احساسهم بالعزلة طاغيا. وخوفهم مما يخبؤه لهم المستقبل واضحا.
- واعطى الجبر القضية ابعاداً سياسية -وهى كذلك - فطغت المشاعر الوطنية عليهم لتصبح المحرك الأساسى الذى شكل ردود افعالهم..
- وتحرك اعداء الإسلام والمسلمين وانتهزوا الفرصة التى سنحت لهم وعضوا عليها بالنواجز.. فسارعوا إلى الانضمام إلى «اخواننا الجبر» وبداوا يصطادون فى الماء العكر وعملوا على تأجيج نار الفتنة متخفيين خلف قناع الوطنية.

وتعرض العرب -نتيجة لذلك- إلى الكثير من المضايقات..

لكن الله قيض للطرفين اناسا حباهم الله بالحكمة وبعد النظر ورجاحة العقل«والجاه» من امثال المفتى ابراهيم المختارأحمد عمر و«المحسنين الكبيرين» صالح باشا أحمد كيكيا والحاج أحمد عبيد باحبيش والقاضى عبد العليم ادريس قاضى اسمرا وغيرهم من علية القوم من اليمنيين والارتريين المسلمين.

فتحركوا بسرعة لإصلاح ذات البين. وعالجوا الموقف واضعين مصلحة الإسلام والمسلمين فوق كل شيئ وشددوا على ضرورة عدم «أخذ الكل بجريرة البعض» وأكدوا ان «اليمنيين جميعهم لا يؤيدون باخشب باشا فى مسعاه وانهم لا يريدون أية امتيازات خاصة»

وعندما شاهد الناس هؤلاء الاعيان يجوبون شوارع اسمرا معا تأكدوا ان المياه قد عادت إلى مجاريها وان نار الفتنة قد اطفئت - بتوفيق من الله - ومساع حميدة من زعماء المسلمين «ويا دار ما دخلك شر»

وماذا حدث «لباخشب باشا»؟

ذكر لى أحد المصادر ان «العرب» خافوا على سلامة باخشب باشا ولم يجدوا بدا من تهريبه من اسمرا إلى مصوع متنكرا فى هيئة امرأة يمنية «البسوه الحبرة وهى كالعباية لكنها تغطى الوجه ايضا باستثناء العينين» ومن مصوع سافر إلى جدة بحرا.. ولم يعد بعدها إلى ارتريا..

وعندما شرعت فى كتابة هذه الحلقة اردت ان اتأكد من المعلومة فاتصلت بأحد الأشخاص المقيمين هنا فى لندن طالبا منه المساعدة فذكر لى «.. ان باخشب باشا لم يغادر ارتريا بعد هذه الاحداث مباشرة بل بقى فى اسمرا فترة بدليل انه شارك فى الاحتفال بمنحنا شهادة اتمام المرحلة الابتدائية فى المدرسة الإسلامية الخيرية عام ١٩٤٤..»

ولم أحصل من مصادرى على اجابات تتعلق ببعض الأسئلة التى طرحتها عليهم ومنها:

لماذا تقدم بعض اليمنيين با لتماسهم هذا لاسيما بعد أن ألغت سلطة الاحتلال البريطانية «قانون التمييز العنصرى» الذى كانت تطبقه الحكومة الايطالية فى ارتريا..؟

هل كان ذلك بتشجيع من «سلطة الاحتلال البريطانية» أو ان افرادا معيننين تقدموا بالإلتماس باسم ابناء الجالية اليمنية فى ارتريا؟

وما الذى جعلهم يتقدمون بمطالب كهذه وهم يدركون فى النهاية انهم «أجانب» يصدق عليهم المثل اليمنى القائل «يا غريب كن أديب»؟

لكننى سأنقل معلومة «قد تساعدنا على القاء ضوء على «الإلتماس الغريب» وان كانت فى اعتقادى لا تبرره على الاطلاق» وقد ذكر المعلومة «ترافاسكيس» فى معرض حديثه عن القوانين التى كانت تطبق فى ارتريا ايام الحكم الايطالى وانواع المحاكم فيها.. وأوضح انه كانت هناك خمسة أنواع من المحاكم المختلفة ومنها:

- محكمة كانت تنظر فى كل القضايا المرتبطة بالأوروبيين

- ومحاكم كانت تنظر فى القضايا الجزائية العادية المتعلقة بالارتريين وسائر المواطنين غير الأوروبيين.

- «ومحكمة» كانت تنظر بالقضاياالمتعلقة بغير الأوروبيين «ترافاسكيس صفحة ٥٤»

ووجدت سلطات الاحتلال البريطانية ان هذا النظام القضائى المعقد لا يتناسب وظروف الاحتلال.. لذلك الغت هذه المحاكم وانشأت المحكمة العسكرية الدائمة.. التى كانت صلاحياتها تشمل كافة القضايا الجزائية الواقعة ضمن نطاق القانون البريطانى والايطالى «ترافاسكيس صفحة٥٥»

ومما سبق يتضح لنا ان اليمنيين - بصفتهم غير أوروبيين - كانت لهم- ايام الحكم الايطالى - محاكم خاصة تنظر فى قضاياهم... وهذا امتياز حرمتهم منه الادارة البريطانية عندما الغت هذه المحاكم..

انتفاضة الجبر عام ١٩٥٠ واثبات الوجود

وينقلنا ترافاسكيس إلى اجواء الاضطرابات والأعمال الوحشية التى تعرض لها الجبر عندما قام بعض المتطرفين الوحدويين ببعض الأعمال الإرهابية ضدهم انفجرت على اثرها معارك عنيفة بين المسلمين والمسيحيين فى اسمرا دامت خمسة ايام وتسببت فى عدد من القتلى والجرحى «صفحة ١٦٩-١٧٠» وتفجر خلاف وحشى واحيانا غير منطقى «كما يقول ترافاسكيس» بين الارتريين حيثما اصطدمت مصالحهم وثقافاتهم. اذ اصطدم مسلمو سرايى الأشداء مع الأكثرية المسيحية وتمكنوا من اثبات وجودهم بمساعدة من بنى عامر ومساعدة قليلة من الساهو اما الاقلية المسلمة فى الحماسين فقد اجبرت على الركود بعد انتفاضة قصيرة

كان «الشفتا» أو الإرهابيين -المدعومين من مسيحيى الهضبة المتعصبين والكنسية الاورثودكسية واعضاء حزب الانضمام - وراء هذه الأعمال التى وصفها ترافاسكيس بالوحشية والإرهابية.. اذ عمدوا- عام ١٩٤٨ على سبيل المثال - «إلى قطع رؤوس

خمسة من الرجال المسلمين أمام أعين زوجاتهم وأولادهم».. «ترافاسكيس ص١٦٢»

كما مارسوا قطع آذان الجبر وهذا تقليد أعمى لما قام به بطرس الرسول - أحد حواريي عيسى عليه السلام - فعندما جاء الجنود وألقوا القبض على المسيح «حسب اعتقاد المسيحيين»، استل بطرس سيفه ليدافع عن المسيح وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى، فأجاب يسوع قائلاً: رد سيفك إلى مكانه «متى ٢٦:٥٢» ولمس أذن عبد رئيس الكهنة وأبراها «لوقا ٢٢:٥٠»

ألم يكن حرياً بهؤلاء الجهلة المتعصبين أن يتبعوا عيسى المسيح عليه السلام الذى كانت دعوته تحض على محبة الاعداء والتسامح والسلام... بدلاً من تقليد بطرس؟ أم ان عملهم هذا له دلالة دينية ويحمل رسالة إلى الآخرين...؟ هذا ما أحسست به عندما رأيت فى اسمرا - لأول مرة - رجلا غطت عمامته اذنيه وعلمت من أحد اقربائه بأن «المسيحيين - أيام «عدى عدى» أى بلادى بلادى - قطعوا اذنيه..» ورغم مرور أكثر من عشرين عاما على الحادث كان الرجل كلما ظهر فى الشارع يذكر «الجبر» بالماضى الذى يمكن أن يتكرر فى المستقبل وان رسالة التهديد والوعيد والويل يحملها هذا الرجل.. أو المثل الحى..

أصدق ترفاسكيس ولا أصدق برخت أب

كان السير كيندى ترافسكيس سكرتيرا سياسيا للإدارة البريطانية فى ارتريا

---

(١) الراوى «متفق عليه»

(٢) الراوى «الترمذى»

(٣) الراوى «الترمذى»

(٤) الراوى «متفق عليه»

(٥) الراوى «الإمام أحمد»

منذ بداية ١٩٤١ حتى عام ١٩٥٠ وشئنا أم أبينا هو شاهد عيان عاصر الأحداث وراقبها عن كثب وعرف خفاياها وكان أيضا أحد المشاركين فيها.. وكان صادقا عندما وصف ما تعرض له «الجبر» بـ«الأعمال الوحشية والإرهابية» وعندما ذكر ان الكثيرين تطلعوا إلى القوة كأفضل وسيلة لتحقيق أهدافهم الخاصة.. ومنهم حسب قوله المسيحيون الارتريون الجائعون إلى الأرض فوق الهضبة.. والمسيحيون الارتريون العاطلون عن العمل وذوو الأجور المنخفضة المدينون للجبرتيين «ص١٩٢».

لكن «رديئ برخت أب» فى رسالة الدكتوراه التى تقدم بها إلى جامعة أبسالا بالسويد وطبعت عام ٢٠٠٠ بعنوان «ارتريا - بناء أمة - ١٨٩٠ إلى ١٩٩١م» يسمى هذه الأعمال «توتراً اجتماعياً» ويعيد أسبابها إلى الأزمة الاقتصادية الخانقة التى شهدتها ارتريا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية نتيجة لتراجع النمو الاقتصادى وازدياد البطالة والتضخم وارتفاع اسعار السلع الاساسية بنسبة ستمائة بالمائة فى الوقت التى زادت فيه الرواتب بنسبة ستين فى المائة فقط واستفادت من هذا الوضع - حسب رأيه- فئتان: الايطاليون والتجار المسلمون.. ويقول «ص ١٦٣»:

كان التجار فى اسمرا هم عصب المدينة الاقتصادى ووضعهم جيد وكان معظمهم مسلمون «عرب وجبر» وكان الكثيرون من المسيحيين مدينين لهم بنسبة فوائد عالية وواجه الكثيرون صعوبات فى تسديد ديونهم مما ادى إلى تدهور العلاقات بين المسلمين والمسيحيين.

ويورد للدلالة على ذلك حادثة بين قوات الدفاع السودانية - التى جاءت مع الانجليز - والمسحيين فى اسمرا فى اغسطس ١٩٤٨م وتسببت فى مقتل ٤٦ مسيحياً واصابة اكثر من ستين شخصا بجروح.

لم يجد رديئ برخت غير هذا الحادث لإيراده كمثل على ما اسماه بالتوتر الاجتماعى.

لكن الحادث لم يكن بين طرفين ارتريين بل كان بين سودانيين ومسيحيين ارتريين. ولم يكن للجبر أو العرب أى دور فيه..يقول ترافاسكيس: كانت بعض القوات الضئيلة العدد من الجنود السودانيين تحتفل بنهاية شهر رمضان. فوقعت ملاسنة بينهم وبين بعض المسيحيين الارتريين فى ساحة سوق اسمرا وسريعا ما تحولت إلى عراك قتل خلاله احد الجنود السودانيين رميا بالحجارة فيما هرب البقية لابلاغ رفاقهم بما حدث. وكانت ردة الفعل نزول ٧٠ منهم باسلحتهم إلى الحى المسيحى باسمرا حيث قتلوا ٤٦ وجرحوا أكثر من ستين مسيحياً ارتريا قبل ان تسيطر قوات الأمن على الوضع. وجرح تسعة ايطاليين فى الحوادث نفسها.

ويوهمنا «رديئ» بانه استقى هذه المعلومة- عن تعامل التجار المسلمين مع زبائنهم المسيحيين بالربا الفاحش- من ترافسكس بينما هذا الأخير بريئ من ذلك.. يقول ترافسكيس ما يلى:

شعور الرعب من الطليان نما بصورة خاصة فى صفوف «الأنتليجنسيا» الذين كانوا على علاقة مباشرة مع الطليان. لكن كرههم للمسلمين العرب والجبرتة لم يكن بأقل وشاركتهم الطبقة العاملة هذا الحقد. وجاء الكره هذا نتيجة الخوف والحسد. فالتجار المسلمون تمكنوا من تكديس ارباح طائلةخلال السنوات الأولى للإحتلال البريطانى بسبب ارتفاع الاسعار وقلة البضاعة.وكان من الجور بنظرهم أن يسمح للعرب الإثراء على حساب الارتريين كما بدى من غير المقبول ان يثرى الجبرتيون المنبوذون على حساب المسيحيين المتفوقين عليهم. لكن الأسوأ لم يكن بوسع المسيحيين الارتريين الحصول على قروض الا من العرب الجبرتيين وذلك بسبب فقرهم فازدادت ديونهم لمدينيهم المسلمين وراحوا يفقدون املاكهم لهذا كانوا

يخافون التجار المسلمين وغالبا ما كان يولد عندهم الفزع والحسد وكذلك الكره حيالهم. «صفحة ٩٣».

الذى أعرفه ويعرفه غيرى هو ان التجار المسيحيين - لا الجبر - كانوا يتعاملون بالربا الفاحش وأشهرهم «ازماش كنفو» الذى «انشق قبره» كما يقال وتوافد الناس إلى المقبرة فى اسمرا لمشاهدة القبر مما ادى إلى تغطيته بالأسمنت المسلح..

لكن يبدو لى ان رديئ - مثله مثل الكثيريين من اقرانه من ابناء المرتفعات الارترية المسيحيين - تنقصة المصداقية والموضوعية والفهم الصحيح لحقيقة الصراع المسيحى-الإسلامى فى ارتريا ولا أعتقد أن نضاله فى جبهة التحرير الارترية «١٩٧٧-١٩٨٤» شكل- كما يدعى - «رؤيته أو نظرته السياسية واصبح مصدرا لمعلوماته الأساسية حول التاريخ الاجتماعى لارتريا»، «مقدمة كتابه صفحة ١٣» وإلا لما تجنى على التاريخ بهذه الطريقة..

وإلى حلقة قادمة مع وعد بأنها ستكون مسك الختام بعون الله ولكم تحياتى..

المختصر فى تاريخ الجبر «٤»

ختامها مسك

{إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين}.

الجبر وبناء المساجد

لا يكتمل الحديث ولا يحلو الكلام عن «الجبر» إلا بذكر حرصهم الشديد على بناء المساجد أينما كانوا وحيثما حلوا. «فما اجتمع سبعة من الجبر فى مدينة أو بلدة أوقرية واحدة إلا وانصب اهتمامهم فى بناء مسجد فيها» كما يقال..

وهذا شرف يستحقون عليه حسد إخوانهم المسلمين وتهمة لا يتنصلون منها بل يحرصون على تثبيتها وتأكيدها ببناء المزيد من المساجد.. رغم أنف أعداء الدين الإسلامي.. فالمسجد - بالنسبة للجبر - ليس بيتا للعبادة فقط بل هو «زاوية» لتحفيظ القرآن الكريم ومعهد» لتعليم أصول الدين و«مجلس» دائم الإنعقاد يقرب ولا يباعد ويحل ولا يُعَقد وفيه يناقشون شئونهم ويقدمون المساعدة لمن يستحقها وان لم يطلبها وفيه يتلقون- عند الحاجة- الدعم والإرشاد والتوجيه المعنوى..

لكن الأحباش المسيحيين لا يرضيهم ذلك ويرون فى بناء المساجد تجاوزا «من الجبرت« لكل الحدود وتحديا لسلطة الكنيسة ومنافسة لها..فهم - حكاما ورجال دين وأفرادا عاديين - كانوا ولا زالوا يعتقدون انهم شعب الله المختار وان «الحبشة» أرض مسيحية مقدسة وان اتباع الديانات الأخرى ليسوا مواطنين. لذلك منع الجبر

من اقامة المساجد بقوانين ملكية. بل «فرض عليهم الملك يوهنس الرابع أن يبنوا كنائس فى أحيائهم وأن يتكفلوا بالصرف على القساوسة الأرثودكس المكلفين باقامة الصلواة فيها..»

ثم جاء الايطاليون.. وعندما ادركوا قوة الدين الإسلامى بنوا المساجد فى العديد من المدن الأثيوبية وفى اسمرا وكل المدن الارترية «تريمنجهام صفحة ١٥٢» وهذه من حسنات الايطاليين فى ارتريا بالنسبة للمسلمين ولم لا؟ «ومن لا يعجبه ما أقول عليه أن يلعن الايطاليين الذين خططوا وبنوا وعمروا مدينة أسمرا التى كانت - قبلهم - مجرد قرية صغيرة»

و قد سجل لنا شاعر جبرتى مجهول فرحته ببناء المساجد وان لم يخف تشفيه كذلك فأشار إلى «مقتل الملك يوهنس الرابع فى متما عام ١٨٨٨م وربطه بهروب الامبراطور هيلى سلاسى عام ١٩٣٥ م»

أوى دقى محمد انا دقى عبدو

أب اسمرا مسجيد تسريحو

جمعت تسجيدوا

نجوسكم متما وريدوا

بجزأ كارؤؤ تحريدو

كاب تى قدامايكم داحراوايكم جديدو

نعم نحن أبناء محمد وابناء عبده/ فى اسمرا بنيت المساجد/ واقيمت صلاة الجمعة/ ذهب ملككم إلى متما/ وقتل بسكينه «ارتد كيده إلى نحره»/ لكن ما قام به ملككم اللاحق أسوأ مما قام به السابق.

اشادة الأمير شكيب ارسلان بإيطاليا

«...عندما مر الأمير شكيب ارسلان بأسمرا ومصوع عام ١٩٣٣ م.. واجتمع ببعض أعيان المسلمين هناك وذكروا له حسن معاملة ايطاليا للمسلمين فى مستعمرة ايطاليا. ثم ذكر هو بدوره ذلك فى مجلته «ناسيونال أراب» الصادرة باللغة الفرنسية فى باريس تحت عنوان «حول مرورنا بمصوع وأسمرا» بأن المسلمين يعاملون معاملة حسنة فى ارتريا وذلك نقلا عن أعيانها. واثر ذلك هاجمته جرائد عدة فى مصر حول تصريحه هذا وكان جواب عطوفة الأمير شكيب ارسلان «أمير البيان» لهم «اننا لا نحب ايطاليا ولا نكره ايطاليا وانما نحب عملاً جيداً تسديه ايطاليا للمسلمين ونكره عملا سيئا يتحقق صدوره عن ايطاليا بحق المسلمين» وكنت أنا كاتب هذه السطور من المدافعين عن الأمير شكيب ارسلان فى جرائد مصر عام ١٣٥٢هـ «١٩٣٣» وابرزت فيها بعض الجوانب غير السلبية تجاه المسلمين من قبل الايطاليين فى مستعمرتهم بما فيها الشريط الساحلى العفرى وكان ضمن ما سردته الآتى:

أ- منع المبشرين المسيحيين من اذية المسلمين فى دينهم فعلى سبيل المثال حصر الجنرال زوتى حاكم عام ارتريا المبشرين المسيحيين فى جهات محدودة مثل بازين ومنعهم فى التجول فى بقية البلاد.

ب- بناء جوامع.

ج- اعتنائهم بالقضاة الشرعيين «على الاقل يساعدونهم فى تطبيق الشريعة الإسلامية وفى الاحوال الشخصية»

د- وضع مصلى فى داخل المدارس فى المناطق الإسلامية مع وضع المرشدين المسلمين فيها لتعليم الاطفال تعاليم الدين الإسلامية ورأيت بنفسى وأنا تحت الاقامة

الجبرية للأسباب سياسية فى عام ١٣٤٨ هـ بأن الشيخ سعيد أمناى كان يصلى باطفال المسلمين فى مدرسة كرن وله على ذلك مرتب معلوم من الحكومة.

هذا ما ذكره الشيخ جمال الدين الشامى فى كتابه «المنهل فى تاريخ وأخبار العفر - صفحة ٢٩٣» وكانت الحكومة الايطالية قد نفته لاسباب سياسية من «مسقط رأسه طيعو» إلى مصوع فكرن فاغردات فقرورة «عام ١٩٣٠م»..لكنه شهد بما رأى ولم تمنعه عين السخط عن ذكر «محاسن الايطاليين» فشهد بما رأى للحقيقة والتاريخ..

وللقارئ أن يقارن بين ما قام به الايطاليون فى المستعمرة «ارتريا» وما يقوم به نظام «اسايس» اليوم فى «ارتريا الحديثة»

اليوم يتم اعتقال أئمة المساجد ومدرسى المعاهد الدينية الإسلامية وتتم تصفيتهم جسديا.. ويحارب الإسلام ويستهدف المسلمون، و اليوم تتعرض بيوت الله للهدم.

ففى ٢٨-٣-٢٠٠٤ قامت الجرافات تحت حراسة مجموعة كبيرة من الجنود المسلحين - بهدم اربعة مساجد فى حى «حديش عدى» فى «مدينة مندفرا» باقليم سرايى «حسب بيان اللجنة التنفيذية لجمعية الجبر بالخرطوم / المنشور فى موقع مسكرم» وهذا العمل الإجرامى يوضح حقيقة النظام الحاكم فى ارتريا الذى لا يراعى حرمة المساجد ولا مشاعر المسلمين ولا يحترم حقوق المواطن.. وفى اعتقادى ان نظام اساياس أقدم على هذا العمل لأنه يعلم بعدم وجود «رد فعل إسلامى فى الداخل» و«عدم فعالية وجدية» كل المنظمات الارترية المعارضة فى الخارج. وأخشى ما أخشاه هو أن يستمر «مسلسل هدم المساجد» فى كل المدن الارترية.. والهدف فى النهاية هو «الغاء الهوية الإسلامية لأرتريا».

الجبر وموقفهم من مشروع المنخفضات الارترية

بعد نشر الحلقة الحادية عشرة «الثالثة عن الجبر» طلب منى أحد الاصدقاء أن أحدثه عن «الجبر وموقفهم من مشروع المنخفضات الارترية» فحدثته عن انطباعاتى وذكرياتى باسهاب. وسألنى الصديق:

هل ستكون هذه الانطباعات والذكريات جزء من الحلقة القادمة عن الجبر؟؟

وكان النفى أقرب إلى من الإيجاب. وكلمة «لا» أخف واسرع من «نعم»

لكن صاحبى كان يعرف ردى قبل أن يطرح سؤاله لأنه سبق أن طلب منى مرارا أن اكتب عن «مشروع المنخفضات الارترية» بصفتى أحد المشاركين فيه وكنت ابرر له - ولغيره من الاصدقاء - إحجامى عن الكتابة بحجة أن «هذا ليس زمانها وان مجلة النضهة الالكترونية ليست مكانها» الا انه هذه المرة عرف كيف يوقعنى فى شر أعمالى كما يقولون. فذكرنى أولا ببيت الشعر القائل:

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

ثم قال لى:

عجيب أمرك يا صاحبي.. كيف تطلب من كل الذين شاركوا فى التجربة النضالية أن يكتبوا عنها وأن يدلوا بشاهدتهم «للحقيقة والتاريخ»... وتتعلل انت باسباب واهية للتهرب من الادلاء بشهادتك عن تجربة خضتها واحداث شاركت فى صنعها ودور قمت به؟ اترك الحكم للتاريخ فهو وحده صاحب الكلمة الأخيرة.. لكن اشركنا فيما تعرفه عن«المشروع» الذى ربطه البعض بك وسموه «مشروع لوبينت» واذكر الحقيقة كما تعرفها انت. للحقيقة والتاريخ فقط لا غير..

اضاف:

ان رأيى - وانت تكتب عن الجـبر - أن تضمن المقال بعضا من الإنطباعات والمعلومات التى ذكرتها لى الآن.. وآن أى عذر تسوقه اعتبره تهرباً من مسئوليتك تجاه قرائك.. فأنا أعتقد أن هذا هو زمان الكتابة عن «المشروع». فابدأ بنفسك أولاً.. وبعد ذلك طالب الآخرين بأن يترسموا خطاك.

فاسقط فى يدى.. ولم أجد مفراً من الإذعان.. فقررت أن اتحدث فى هذه الحلقة عن انطباعاتى وذكرياتى عن الجبر خلال الفترة التى أعقبت الإعلان عن مشروع ألمنخفضات الارترية. وعذراً إذا أحسستم بأننى خرجت عن النص أو أطلت عليكم..

شهادتى للحقيقة والتاريخ

بعد الإعلان عن مشروع المنخفضات الارترية فى ديسيمبر ١٩٨٨ قمنا فى يناير ١٩٨٩ بجولة فى ارتريا بدأناها باسمرا ومنها ذهبنا إلى كرن فمصوع حيث استقبلنا بحفاوة بالغة لم نكن نتوقعها اطلاقا. ولمسنا تجاوبا واضحا مع المبادرة التى تقدمنا بها من اهلنا فى المدينتين.

ثم قررنا ان نقوم بزيارة لمدينة عدى قيح عاصمة اقليم اكلى جوزاى «حيث يوجد أهلنا من العساورتا والساهو» ولمدينة مندفرا عاصمة اقليم سرايى «حيث يوجد أهلنا الجبر» لكن المسئولين عن تسهيل امورنا فوجئوا بالقرار وحاولوا اقناعنا بالعدول عنه ولكن دون جدوى. وأمام اصرارنا وافقوا على زيارة عدى قيح فقط. وعلقوا موافقتهم على زيارة مندفرا إلى حين..

وبعد عودتنا من عدى قيح كان من الطبيعى ان نثير موضوع زيارة مندفرا..

فقال لنا المسئول عن ترتيب الزيارة «لا أفهم القصد من هذه الزيارة ولا مغزاها ولماذا الاصرار على زيارة مدينة فيها مشاعر معادية ورفض معلن لمبادرتكم»، وقلنا له:

أولاً: نريد أن نسجل زيارة مجاملة لأصحاب المشاعر المعادية.

ثانياً: وهذا هو الأهم لمسنا تأييدا كبيرا لمبادرتنا من اخواننا الجبر ويهمنا ان نسجل لهم زيارة خاصة لنشكرهم على وقوفهم معنا رغم كل المحاولات التى لا تزال تبذلها الشعبية – فى الداخل والخارج – لاقناعهم باننا قد تخلينا عنهم.

فقال لنا:

انكم لا تقدرون الموقف كما يجب. زيارتكم لمندفرا من الناحية الأمنية تعتبر مغامرة لا يجب الاقدام عليها. لأن الشعبية تتوقع قيامكم بالزيارة وهى بلا شك قداستعدت لذلك واستفادت من عنصر الوقت. اسقاط الطائرات المروحية التى تستخدمونها فى تنقلكم احتمال وارد ومن غير المستبعد أن تندس عناصر من مقاتلى الشعبية بين المستقبلين لتقوم بعملية انتحارية للقضاء عليكم..

وكان الرد الذى سمعه المسئول واضحاً وحاسماً قلنا له:

«إذا كانت زيارتنا لمندفرا بهذه الخطورة فنحن نفضل أن نموت هناك».

فطلب منا مهلة للإتصال بالجهات العليا فى أديس أبابا... وفى صبيحة اليوم التالى جاءنا ليبشرنا بالموافقة التى طال انتظارها...وتمت الزيارة..

يوم خرج التابوت من الكنائس لاستقبال المسلمين

استقبلنا فى مندفرا استقبالاً فاق سابقيه فى المدن الأخرى وبدى واضحا ان مسئول الحزب فى سرايى «وكان من تيجراى» قد بذل كل ما فى وسعه وحشد امكانيات الحزب واستخدم سلطاته كذلك لكى ينظم استقبالا رائعا تفوق فيه على «اقرانــه» ورفاقه مسئولى الحزب فى كل من كرن ومصوع وعدى قيح..

توجد فى مدينة مندفرا وضواحيها ٣٢ كنيسة ارثوذكسية. وفى كل كنيسة توجد

نسخة مقلدة من «تابوت العهد / أى لوح العهد» ويعتقد الاحباش ان «التابوت الاصلى» الذى يضم الوصايا العشرة التى انزلها الله سبحانه وتعالى على النبى موسى عليه السلام تم تهريبه من اسرائيل فى عهد الملك سليمان بن داوود وهوالآن محفوظ فى كنيسة ماريام صيون بأكسوم.

والكنيسة الارثودكسية الأثيوبية هى الوحيدة من بين كنائس العالم أجمع التى تعتبر وجود نسخة من التابوت فى كل كنيسة هو الاساس... ولا يخرج التابوت - التقليد لا الأصلى - من الكنيسة الا نادرا... اما لتشييع قسيس أو زعيم مسيحى.. أو لاستقبال ملك أو حاكم..

لكن فى ذلك اليوم خرج من الكنائس ٣٢ تابوتا للترحيب بقدومنا الى مندفرا ومرت التوابيت من امامنا ومشى خلفها جيش من القساوسة وحملة الصلبان والاناجيل تظللهم شمسيات بألوان العلم الأثيوبي..وتسابق نفر منهم فى القاء «قنى مودس» وهى عبارة عن اشعار مرتجلة باللغة الحبشية القديمة «الجعزية» لمدح المحتفى به / بهم «!!!!» لكننى لا أعرف حتى اليوم اذا كان أولئك القسس آنذاك يرتجلون مدحاً أم قدحاً.

كان يوماً تاريخياً مشهوداً.. فريداً من نوعه..

وأجزم بأنه أول وآخر يوم فى تاريخ الكنيسة الارثودكسية الأثيوبية يخرج فيه التابوت أو قدس الأقداس من الكنيسة لاستقبال «مسلمين».

يوم تحدث الجبر بلسان أبناء المنخفضات

وجاء دور أهلنا الجبر وظهرت العمم والوجوه المستبشرة من بعيد وشاهدنا العشرات منهم يحملون مصاحف اثرية ومخطوطات قديمة وخلفهم المئات من ابائنا واخواننا الجبر متجهين نحونا وهم ينشدون «صلوا على صلوا على بحر الصفا

المصطفى» فحركوا اشجاننا عبر ترديد مطلع المدحة النبوية الشهيرة. وعندما وصلوا إلى المكان الذى كنا نقف فيه توقفوا فجأة وبدأوا فى ترديد بيت واحد من المدحة:

فمن يُوافق يأ تنا مرحباً ومن يخـالف حسبه إن أبى

وابتسمنا جميعاً وبدت الفرحة على الجميع وفهمنا مدلول الخطاب.. وانشرحت الصدور.. وأدركنا أننا كنا محقين عندما قررنا القيام بالزيارة رغم كل المحاذير. ومن يومها والبيت يتردد فى مسامعنا ليذكرنا بأهلنا الجبر...

فهل هناك دعم وتأييد ومساندة أكثر من التحدث باسمنا وبالنيابة عنا وباللغة التى نفهمها جيداً....؟؟

وكانت زيارتنا لمندفرا هى «مسك الختام» لجولتنا فى ارتريا..

إحذروا الدكتور ياسن أبرا !!

قابلت الدكتور ياسين ابرا -لأول مرة- فى يناير ١٩٨٩ فى اسمرا وكنت حريصا خلال ذلك اللقاء على أن أقترب أكثر من «الرجل وفكره» فى محاولة «لفهمه على حقيقته» وليس من رأى كمن سمع.. فقد كان همى أن «أسمع منه» لأن «ما سمعته عنه» لم يكن طيباً ولا يشجع على التواصل معه على الاطلاق..

قيل لى مثلاً - وانا هنا اتحدث عن نفسى لا عن المجموعة - ان الدكتور ياسين له موقف من أبناء المنخفضات الارترية. وانه «اثناء رئاسته لجمعية الإغاثة الإسلامية لمدينة اسمرا وضواحيها رفض أن يضم لعضويتها الناطقين بالتجرى من ابناء المنخفضات الارترية المقيمين فى اسمرا».. وقيل لى أيضاً «انه ينظر إلى الأمور من زاوية واحدة فقط هى الزاوية الجبرتية» وان «مفهوم الجبر عنده ضيق للغاية» لدرجة انه قال «ان مسلمى الحماسين ليسوا بجبر على الاطلاق» وانه «لا يخفى انتماءه وولاءه لأثيوبيا وعلى هذا الأساس تم انتخابه لعضوية «الشنجـو» أى البرلمان الأثيوبى.

وقيل لى أيضاً «انه صدامى فى مناقشاته» وانه «يجب التعامل معه بحذر شديد إذا لم يكن تجاهله ممكناً» وانه..وانه..

لم تكن الصورة التى كونتها عن الدكتور ياسين - بناء على المعلومات التى ذكرتها آنفا - شبيهة بالصورة التى كانت فى ذهنى عن أصدقائى من « آل ابرا » الذين عرفتهم منذ ايام الدراسة فى اسمرا والقاهرة وسنوات العمل فى اديس ابابا وجدة «أى خلال ربع قرن من الزمان بالتمام والكمال..»

لكن بعد هذا اللقاء بدأت الصورة تهتز....وتتغير تدريجياً

صدقت يا دكتور.. كلنا جبر

على هامش جولتنا فى ارتريا عقد اجتماع حضره كبار المسئولين وقادة الجيش ورجال الدين والأعيان.. ورأس الاجتماع الجنرال/ تسفاى جبرى كيدان الحاكم العام وعضو المكتب السياسى «الذى تولى رئا سة الدولة الاثيوبية بالنيابة عقب هروب منجستو هيلى ماريام - كما قيل «ثم لجأ إلى السفارة الايطالية فى اديس ابابا عقب استيلاء الويانى على السلطة فى مايو ١٩٩١ ولا يزال فيها حتى الآن....»

وفى ذلك الاجتماع القيت كلمة بالتيجرينية كان الهدف منها توضيح موقفنا من السلام الشامل فى ارتريا...وبعد الاجتماع التقيت بالدكتور ياسين وحدثنى عن رد فعل المسئولين من ابناء المرتفعات..فقال:

بعد أن انفض الاجتماع قال لى بعضهم: لماذا يقولون لنا ان هؤلاء أبناء المنخفضات الارترية... لقد استمعنا إلى الشخص الذى تحدث باسمهم «أى أبو ؤو زفلطى جبرتى إنديو» انه جبرتى صرف حتى النخاع...فقلت لهم: صدقتم كلنا جبر!!

الدكتور ياسين أبرا: نعمة.... نعمتين

فى اديس ابابا التقيت مجددا بالدكتور ياسين أبرا وتواصلت لقاءاتنا التى لم نرتب لها وعرفت عن الرجل اشياء كانت غائبة عنى وصححت معلومات خاطئة تتعلق به.«علمت مثلا ان أم اولاده من جندع - من بيت شيخ محمود واصلهم من زولا لكنهم منتشرون فى جميع انحاء ارتريا ومنهم أسرجبرتية» كما علمت منه انه يقوم بترجمة «انجيل برنابا» إلى اللغة التيجرينية وذلك بالاشتراك مع أحد الاساتذة فى جامعة اسمرا لا اتذكر اسمه الآن.. وانه لا يجامل ولا يهاب ولا يخشى فى الحق لومة لائم وان تمسكه بجربتيته ما هو الا تمسك بدينه وايمانه... ومن ثم وضحت فى ذهنى صورته الحقيقية.. فتذكرت الآية الكريمة:

«يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين»

سألته مرة أن يحدثنى عن موقف الجبر عموما من «مبادرتنا» فقال لى: سأحكى لك «نكتة».

ذهب أحد مشجعى فريق البحر الأحمر لكرة القدم، «وكان كل مشجعيه من المسلمين» إلى الملعب لحضور مباراة فريقه مع فريق حماسين «وكان كل مشجعيه من المسيحيين» ووجد صاحبنا نفسه - دون أن يدرى - فى المدرج الخاص بمشجعى فريق حماسين..ففوض أمره إلى الله وتابع المبارة دون أن يظهر تأييده لفريق البحر الأحمر. لكن أعصابه كانت مشدودة والمبارة حامية وهجوم فريق الحماسين يواصل ضغطه على مرمى البحر الأحمر.. وفجأة تمكن فريق البحر الأحمر من تسجيل هدف...فاراد صاحبنا أن يظهر فرحته لكنه خشى على سلامته فامسك برأسه ووضعه بين ركبتيه وأخذ يردد «وى نعمة وى نعمة» ولم يدرك المشجعون المحيطون به المعنى الحقيقى لكلمة «نعمة» فأخذوا يطيبون خاطره ويشدون من ازره بقولهم «لا تيأس..سنسجل

هدف التعادل.. وبعده هدف الفوز لا محالة» واستمرت المباراة ليسجل فريق البحر الأحمر هدفاً ثانياً..وكعادته دفن صاحبنا رأسه بين ركبتيه ورفع صوته عالياً وهو يقول: «وى ربى.. انتاى كترء ينى إخا..؟ حنتى نعمة انا بلكوخاس..كلتى!!»

يا إلهى.. ماذا سترينى بعد هذا؟ دعوتك أن تهبنى نعمة واحدة فوهبتنى نعمتين..

عمامة الجبر

فى أبريل ١٩٨٩ استقبل الرئيس منجستو هيلى ماريام وفدا يمثل المنخفضات الارترية. وكان من بين الحضور الدكتور ياسين أبرا الذى ارتدى – لهذه المناسبة -زى الجبر التقليدى المميز: القميص العربى «الثوب» والجبة والعمامة المطرزة بالحرير الملون..

ولام المسيحيون من أبناء المرتفعات الدكتور ياسين على حضوره المقابلة وذكروه بانه برلمانى يمثل دائرة انتخابية فى المرتفعات. لكن الدكتور رد عليهم بقوله: «لقد حضرت المقابلة بصفتى ممثلا للجبر فى المنخفضات..»

وبعد تلك المقابلة تقدم كبار الموظفين واعيان المسيحيين فى المرتفعات الارترية بالتماس إلى الرئيس منجستو يطلبون فيه أن يمثلوا أمامه لتأكيد موقفهم الداعم لنداء السلام.. وشكلوا وفداً «كان والد بطروس سلمون أحد أبرز أعضائه» وضموا إليه قنزماش أحمد صالح بارولى -من اكلى جوزاى- والدكتور ياسين أبرا..

وفى الموعد المحدد جاء الدكتور ياسين مرتديا بدلة أوروبية وربطة عنق وحاسرا رأسه مثل بقية أعضاء الوفد.

وسألوه: أين العمامة يا دكتور؟

فكان رده: دى نعمامتى إخوم دليخومنى.. جن اتا عمامتىْ مس سبا كَيْدا انما اخترتمونى من أجل عمامتى...لكن عمامتى ذهبت مع أهلها

يرحمك الله يا دكتور ياسين ونضر وجهك يوم يبعثون.. لكننا نرى - فى اجتماعات حزب الجشع - رؤوسا معممة تخصص لها المقاعد الأمامية - لا احتراماً لأصحابها - ولكن للحاجة إلى «العمامة» فقط..

وختاماً

قد يتساءل القراء: وماذا عن عدد الجبر فى ارتريا؟

لا توجد احصائيات يمكن الاعتماد عليها عن عدد السكان فى ارتريا لكن هناك تقديرات مختلفة لعدد السكان مبنية على «تعداد السكان الذى أجرى فى عام ١٩٩٤ / حيث أعلن أن عدد السكان بلغ ٢٧٤٨٣٠٤، بينما تقدر بعض المصادر المستقلة عدد السكان بأربعة ملايين نسمة..وتصر الحكومة الارترية على ان عدد المسلمين والمسيحيين متساو «أى ٥٠/ ٥٠ كما يقال» أما بالنسبة للجبر فان الدكتور ياسين ابرا ذكر أن عددهم فى ارتريا يبلغ المليون نسمة والبعض يرى أن هذا تقدير مبالغ فيه وأن عددهم لا يتجاوز المائة ألف نسمة «وحسب تقديرات من تحدثت معهم مؤخراً من الجبر وغيرهم من المهتمين بالشأن الارترى فإن عدد الجبر فى ارتريا يتراوح بين ٣٥٠ ألفاً وخمسمائة ألف».

وختاماً.. أرجو أن أكون قد وفقت فى اعطاء القراء الأعزاء نبذة عن الجبر وتاريخهم وما التوفيق إلا من عند الله.. وأملى أن نقرأ -فى المستقبل القريب- مزيداً من المقالات التى تتناول «الجبر» من نواح كثيرة..

البيت الجبرتي ولعب دوره الوطني

كان دائما شغلي الشاغل وهمي الذي لم يفارقين أبدا موضع ترتيب البيت الجبرتي وكان هذا من زمن بعيد حيث أنا في تشكيلة رقم ١ في جمعية الجبرتي التي يوجد بها من المؤسسون وشيوخ الجمعية، وفي هذا الإطار قد كتبت رسائل عدة تحمل مقترحا باتجاه ترتيب البيت الجبرتي لا سيما عندما تأملت في الواقع الارتري ما بعد الاستقلال، ولقد سعيت ببدء عمل اتصالات مع عدد من إخواني الجبرتي المتبصرين المنتشرين في جميع بقاع العالم فقد طلبت منهم أن يشاطروني إحساسي بعظم المهمة وضرورة المسارعة إلى ترتيب البيت الجبرتي حيث أنه وما شاء الله هناك حشود كبيرة لأبناء الجبرته منتشرون في أنحاء العلام وكان لابد من إيجاد الرابطة الأعمق والأصلب وهي لا تتم إلا من خلال العودة للبيت الجبرتي والهدف من ترتيب البيت الجبرتي هو أن تتحد قوانا التي بعثرتها الأيدلوجيات والانتماءات السياسية لردح من الزمن، فالوحدة هي صمام الأمان لأننا عائدون لا محالة للوطن كذلك نحن مسلمون والحمد لله ولطالما من الله علينا هذه النعمة فيجب علينا العمل بكلام الله (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

ولا ينكر لا جاحد دور أبناء الجبرته الوطني في الأربعينات والخمسينات حيث وقفوا وقفة رجل واحد في المطالبة بالاستقلال وعدم الرضوخ لاي ضغوطات أو ترهيب لكي يقبلوا مشروع الانضمام إلى إثيوبيا أو تقسيم ارتريا بين السودان واريتيريا وقد كنت أعي تماما وأنا يومها طفل صغير تحركات أبائي في ذلك الوقت وفي قناعتي

بأنه لم يكن هذا الدور ناتجا إلا انه في ذلك الوقت كان البيت الجبرتي مرتبا ـ فآباءنا في الأربعينات تحملوا عبيء القضية ورسموا خارطة الطريق لبلوغ غاياتهم في أن تنال ارتريا الاستقلال كباقي المستعمرات الايطالية ولم تهتز عزائمهم حتى مع اغتيال قائد المسيرة أبو الشهداء الشيخ عبد القادر كبيري رحمه الله رحمة الأبرار.

وبعد أن جعلت مؤامرات دولية اكبر من مقدرة شعبنا الارتري ودون الرجوع لأروقة الأمم المتحدة التي ربطت ارتريا بإثيوبيا فيدراليا فقد تم دمج ارتريا إلى إثيوبيا اندماجا كاملا بحيث ارتريا محافظة ضمن محافظات إثيوبيا.

لم يسكت أباوؤنا بل تحركت إرادتهم الحرة وانخرطوا عن بكرة أبيهم في حركة تحرير ارتريا (محبر شوعتي) وعند انطلاقة شرارة الكفاح المسلح كان أبناء الجبرتي أيضا من أوائل من انخرط إلى هذه المسيرة المباركة، وبالتأكيد لم يكن هذا السعي الحثيث وراء المطالبة بالاستقلال سلما أو حربا إلا لوجود زعماء للجبرته يديرون البيت الجبرتي جيدا وجعلوه جسدا واحدا يتحرك صوب مهمة عظيمة تتمثل في تحقيق الرغبة في استحقاق الاستقلال للوطن الارتري.

ولكن ما دعاني لاختيار العنوان وهو ترتيب البيت الجبرتي هو أن الفترة الطويلة التي صار جل اهتمام أبناءالجبرتي بالوطن ونيل الاستقلال وإعلاء من شان الوحدة الوطنية وسموه بروح الوطن وما أحدثه من اثر للتقسيمات التي حدثت في الساحة الارترية للتنظيمات التي خاضت الكفاح المسلح وتنوع الأيدلوجيات واختلاف البرامج والرؤى السياسية وأيضا تأثيرات فترة النضال التي تمثلت في نزوح الارتريين خارج الوطن وتبعا لذلك أبناء الجبرتي توزعوا في الأرض بطولها وعرضها، فهذا كله قد احدث تأثيرا سلبيا تماسك البيت الجبرتي ولم يتسنى له الاستمرار على ذات المنوال التي كان عليها قبل كل ما ذكرت من أحداث وحتى إذا سلمنا بالمحاولات

الجادة التي تمخض عنها إنشاء جمعيات الجبرته في العالم لتكون وعاء جامعا فقد ساهمت مساهمة عظيمة في الحفاظ على الهوية وتمتين أواصر الصلات بين اسر الجبرتي في إطار البيت الجبرتي الكبير، ونتيجة لذلك نجد أي فرد جبرتي أينما وضع رجله في عالم الدول العربية والأوربية وأمريكا وكندا حيث هناك جمعيات للجبرته، وهذه الجمعيات وحتى تبتعد عن إرهاصات الجو السياسي الذي كان سائدا إبان مرحلة الكفاح المسلح وتجاذباته فقد دأبت جمعيات الجبرتي الابتعاد عن تتلون بأي لون سياسي خشية أن يكون ذلك سببا لابتعاد الجبرتي عن هذه الجمعيات وتباعا لذلك فقد أعطت الجمعية الحرية لأي فرد جبرتي بان يعمل في التنظيم الذي يقتنع به ويعمل بالجمعية بصفته الانتمائية للبيت الجبرتي، وهذا النهج كان في وقته حلا وجيها للخروج من الأزمة السياسية التي كانت سائدة في ذلك الوقت وبذلك حافظت جمعيات الجبرتي على نسيج البيت الجبرتي.

ولكن استجدت أوضاع بعد الاستقلال حيث تسيدت الجبهة الشعبية على البلاد وبما أنها صاحبت السلطة الوحيدة في البلاد فقد وضعت تقسيما لغويا للمجتمع الارتري وبناء على ذلك تم دمج الجبرته في قومية التجرينية، ومعلوم لكل حادب على مصلحة الوطن بان هذا التقسيم كان من منطلق أهداف سياسية ولا يعكس تكوين المجتمع الارتري الذي جاء عبر حقب تاريخية منذ أن عرفت هذه البلاد باسم ارتريا بجغرافيتها الحالية.

واعترض الجبرته على هذا التقسيم وعبروا عن ذلك من خلال وفدهم المكون من ثلاثة من شيوخهم ولكن إمعانا من الشعبية في مغبتها على نهجها لم تستمع لهم بل تم إيداعهم في السجن.

وعلى اثر ذلك فقد تفاعل المجتمع الجبرتي فيما بين أفراده ودبت النقاشات

والحوارات في داخل هذه الجمعيات وخارجها لا سيما إزاء صمت المجتمع الارتري ممثلا في تنظيمات سياسية التي كانت تناوئ الشعبية في نهجها وظلت خارج الوطن، لم يسمع منها أي صوت يؤكد حق الجبرته في قوميتهم المستقلة ولم تنكر سياسية الدمج القسري الذي هو تعسف وجحود من قبل النظام للمجتمع الجبرتي.

وحيال هذا الوضع فقد تواردت أفكار تجنح نحو قيام حزب سياسي يتصدى للنظام القائم وسياساته ويتبنى صراحة وعلانية قضية القومية الجبرتية ويقوم على هذا الشأن باعتبار قضية جزء عزيز من الشعب الارتري مستهدف في وجوده وطمس تاريخه ويتعرض لعدوان صريح وواضح في هويته فكان.

فكان لابد من حزب سياسي يجند طاقات الجبرته ممثلة في كوادره السياسية وطاقاته الشبابية ويوظفها توظيفا صحيحا في الحفاظ على كيان الجبرتي ضمن مكونات المجتمع الارتري والدفاع عن حق القومية في البقاء بكينونتها المستقلة.

ومحاربة نظام الشعبية حتى يتم إسقاطه حيث هو علة المصائب، وبالفعل خرج للوجود ذلك الزخم الذي ظل لفترة في دولاب الأفكار في شكل حزب سياسي تحت مسمى حزب النهضة الارتري، هذا الحزب الذي تأسس على يد شباب الجبرتي الذين يتمتعون بوعي سياسي وحس وطني كبير والحمد لله فقد وجد ترحيبا من المجتمع الجبرتي لأنه لامس تطلعاتهم.

الآن تقوم الجمعيات الجبرتية بالعلم بنفس وظيفتها الاجتماعية للحفاظ على النسيج الجبرتي كما يقوم الحزب بالتعبير عن تطلعاتهم عبر خطاب سياسي وقد استطاع هذا الحزب بحمد الله تجنيد طاقات معظم الجبرته لتتجه في مقاومة النظام الجائر، وهكذا نجد هذا الحزب يقوم بدور كبير ورئيسي في صفوف المقاومة الارترية.

وقد جرت عدة اتصالات ولا زالت مستمرة مع أخي (جرماي ودي فليبو)

الذي ما أن سمع بهذا الحزب وتحرك أبناء الجبرته إلا وكتب حقائق تاريخية كانت مغيبة عن عمد للكثيرين من أبناء ارتريا وهي في عمومها تؤكد ما ذهب إليه أبناء الجبرته في أنهم قومية مستقلة.

وقد تبادلنا معه أحاديث بيني وبينه تتعلق في ماهية العلاقة بين الجمعيات الجبرتية وحزب النهضة الارتري، حيث كانت لديه مخاوف في ألا يكون الاثنان في اتجاهين متعاكسين مؤكدا على ضرورة التكامل والتلازم-ويوضح أخي (جرماي) في أن الوقت لا يتحمل إلا في الوقوف صفا واحدا أمام النظام الجائز في ارتريا.

وباعتباري احد أعضاء جمعيات الجبرته ولي لقاءات مع قادتها ومؤسسيها أكدت لأخي (جرماي) بان التفاهم قائم بين الجمعية والحزب دون المساس بوظيفة كل منهما حيث تستمر الجمعيات في الاهتمام بالشئون الاجتماعية للفرد والأسرة الجبرتية ويستمر الحزب في أداء العمل السياسي الوطني وأكدت أيضا لأخي (جرماي) بان الجبرته جميعا يعون ويتفهمون أسباب قيام الحزب ويدركون ضرورته ولا يتأخرون عن دعمه والحمد لله فقد تبددت مخاوف أخي (جرماي) الذي هب منذ الوهلة الأولى مبينا مساندته بقلمه الجريء والحصيف والصادق الذي يرتكن على حقائق.

والآن وكما في الماضي وحتى يلعب الجبرته دورهم الوطني الطليعي كان لابد من ترتيب بيتهم من الداخل وتوحيد صفهم وتقوية وجودهم وعليهم أن يستعدوا للعودة للوطن العزيز بصفة تسمح لهم القيام بوظيفتهم على أكمل وجه جنبا إلى جنب مع كافة مكونات المجتمع الارتري.

فالجبرته ظلوا على الدوام مسجلين اجتماعيا وسياسيا في ارتريا بالداخل والخارج، ولم ولن يكونوا مجتمعا منغلقا يعيش في عزلة عن التأثير والتأثير في إطار الأمة الارترية وسيظل كذلك ليس بمستوى أفراد وإنما عبر البيت الجبرتي كيانا في

الواقع الارتري وعلى خارطة ارتريا.

وان الحوار الذي اخذ يطفو على الحياة في داخل البيت الجبرتي حول العالم ومن خلال الكفاءات العالمية التي بدا تحت مسمى يوم الجبرتي والدور الذي يلعبه حزب النهضة الارتري وعبر كوادره في مختلف أنحاء العالم وبسطهم ليد التواصل والتلاقي وما سجله الحزب من حضور قوي في كل المستويات وتناوله المستمر لقضية الجبرتي ضمن قضايا الوطن المركزية - والفهم السليم لقضايا القوميات وتأكيده على الوحدة من خلال التنوع وليس بطمسه مع ما تأكد من فشل دعوات الشعبية التي تسعى إلى إيجاد كيان ارتري منسلخ عن الماضي - كل هذه صارت تؤكد على أهمية وضرورة تدافع الجبرتي بمشايخهم ورفقائهم ومثقفيهم وتجارهم ورجالهم ونسائهم وشبابهم وسياسييهم الى ترتيب البيت الجبرتي حتى يؤهل الفرد الجبرتي ليعيش مساهما فعالا ومتناغما مع إيقاعات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في ارتريا حالياً ومستقبلاً.

ولقد وجدت ولله الحمد تجاوبا عظيماً لدعويت هذه من كل من بثثهم الفكرة مباشرة أو غير مباشرة عبر أشخاص وأكدوا جميعاً استعدادهم على المضي هذا الاتجاه -وأنا على يقين بأنه في المحصلة الأخيرة ترتيب البيت الجبرتي هو لخدمة ارتريا حاضرا ومستقبلا وفي نفس الوقت ادعوا كل القوميات في ارتريا إلى ترتيب بيوتها من جديد لوضع معالم جديدة للتعايش السليم على نمط آباؤنا وأجدادنا.

وأحب أن أختتم كلامي بهذا الدعاء الذي وعيته وأنا صغير وكنت في العاشرة من عمري عندما كنت أتلقى العلم الديني الإسلامي في مدينة اسمرا على يد الشيخ الجليل محمود خليفة رحمه الله رئيس البعثة الأزهرية في عام ١٩٤٧م.

ربي الوجود ملكك والقدر حكمك والقلوب خزائن محبتك ارع والدي كما

رعياني وأنر ليالي الحياة لمن علموني واجعلني بارا بوطني محبا.

لعشيرتي نافعا لعبادك مخلصا لمن عدل ناصحا لمن جار جريئا بالحق على الباطل ناصرا للضعيف المظلوم على القوي الظالم وجمل أخلاقي بالصدق وهب لي شمائل الوفاء ولتكن محبتي لك على قدرك ولتكن أعمالي في رضاك وابثث الخير في الناس على يدي وخفف ويلاتهم بما تمنحني من معونتك، ربي إياك أناجي واليك أسعى وعليك أتوكل وبك اهتدي لك حمدي وفيك ثنائي منك البداية واليك النهاية آمين.

كتبه

الشيخ سراج محمد نور

٣٠/ ٨/ ١٤٣٣ هـ

وحدتنا جنى عليها المستعمرون

إن من أسباب كتاباتي لهذه السطور هو اطلاعي على كتابات الأستاذ جرماي ودي فليبوا الذي تناول فترة ما قبل الثورة وما قبل عهد الايطاليين وقام بسردها بشكل واضح وبدون تحيز، لا سيما ما يتعلق بجانب وحدة شعبنا الارتري بالرغم من اختلافاته الطبيعية التي خلقه الله عليها منها ما يتعلق بالدين وأيضاً القومية والقبلية والتباعد الجغرافي وحسب عمري الذي عشته ومعايشتي لأدق واعقد الفترات في تاريخنا المعاصر استطيع القول بان أبناء الوطن قديما قد عاشوا في بيئة يطبع عليها الاحترام المتبادل وتعايشوا مشتركين في السراء والضراء ولم تكن الاختلافات الطبيعية سببا لتناحرهم واقتتال فيما بينهم ولكن ما جاء لاحقا من الاختلافات في المواقف وتحديد المصائر جاءت نتيجة لتدخلات خارجية اتكأت على الجانب الديني والتباعد السكاني ولمست جانب المصالح المشتركة لسكان الأطراف والارتباط الديني المذهبي فيما بين سكان ارتريا وإثيوبيا من جانب وارتريا والسودان من جانب آخر وشعبنا وبالرغم من الذكاء الفطري الذي وهبه الله إلا أن عالم المعرفة والثقافة كان بعيدا عنها شانه فيها شان كل الدول الأفريقية أو التي تقع ضمن دول نامية والمستعمرون على اختلافهم كانوا يدركون بان شعبنا متى ما نال حظا من التعليم سيكون له شان آخر، وفي هذا الصدد تعلمون بان الاستعمار الايطالي في ارتريا دام أكثر من نصف قرن وهذا الاستعمار لمعرفته بالشعب الارتري وذكائه لم يمكن الشعب الارتري من التعليم سوى ثلاثة فصول فقط يسمونها (terso classo) أي الفصل الثالث وكان

هذا لكي يستغل في تعليمه لخدمتهم فقط فكان يقتصر التعليم على القراءة والكتابة لأنه كما سبق كان لدى الإيطاليين مفهوم مفاده أن الارتريين إذا تعلموا أكثر مما يجب سيكون في غير صالحهم وكما قيل في المثل (العلم يرفع بيتا لا عماد له والجهل يهدم بيت العرز والشرف) أي لا يمكن لأمة متعلمة أن ترضى بالذل والهوان واستمر الحال على ذلك إلى أن جاء القدر بإزالتهم عند انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٥ - ١٩٤١ وجاءت بريطانيا لتستعمر الوطن بأسلوب غير أسلوب سلفهم ايطاليا فتحو المدارس وشجعوا المواطنين بالتعلم ومكثوا قرابة العشرة سنوات وبالطبع نظرتهم إلينا لا تختلف فهم يريدون خيراتنا وان نظل في خدمتهم ولكن الأساليب تختلف في كيفية إخضاعنا والسيطرة علينا وقد لعب البريطانيون دورا كبير في تلمس مواطن الاختلاف النائمة وعملوا على إيقاظها حتى ينشغل بها الارتريون ومن ثم يخلوا لهم الجو في الأحكام علينا واستمروا على ذلك حتى جاء قرار الأمم المتحدة يطالب بإخلاء المستعمرات وحين أرادت بريطانيا تنفيذ القرار عادت إلى الشعب الارتري موحية إليه بإنشاء أحزاب سياسية تطالب الاستقلال ولوحت إلى المسلمين ليكونوا حزب الرابطة الإسلامية على غرار التجربة بالباكستانية حيث انفصلت من الهند وآبائنا كانوا قد أعجبوا بالفعل وأسسوا حزب الرابطة الإسلامية بزعامة الشهيد عبد القادر كبيري الذي اغتيل عشية ذهابه إلى الأمم المتحدة وذكل سعيا نحو الحصول على الاستقلال.

كما أسس من جانب المسيحيين حزب الاندنت يطالبون فيه الانضمام إلى إثيوبيا ودارت معارك ضارية ودامية بين الطرفين، وكما نعلم أن سياسة بريطانيا (فرق تسد) استخدموها وتمكنوا فعلا ان يفرقوا بين الشعب الواحد.

إلا أن حزب الرابطة الإسلامية التي واصلت نضالاتها السياسية للقضية

الارترية مطالبة الاستقلال التام وان لم يمكن تحقيق ذلك إلا انه تمخضت عنه الفيدرالية المشئومة والتي لم تدم إلا عامان فقط.

وإثيوبيا لعبت الدور الكبير بمساعدة الغرب وضمنت ارتريا لتصبح محافظة من محافظات إثيوبيا ولكن هل الشعب الارتري وقف مكتوف الأيدي، كلا ثم كلا بل بدء المثقفون الحادبون على مصلحة الشعب الارتري أولا وقبل كل شيء بدراسة الخطوة التي يجب اتخاذها وهو التأكيد على وحدة الشعب الارتري التي لعب في زعزعتها الاستعمار البريطاني واخذ العبرة من الماضي ومن الاختلافات وهنا لابد وان أشيد بالعبارة التي عنون بها كتابه الكاتب الم سقد وهي أينفلالي أي لا نختلف وترجمت إلى عدة لغات.

وتطورت تلك الجهود الحثيثة حتى تأسست منظمة سرية في أسلوبها الدقيق وهي حركة تحرير ارتريا (محبر شوعتي) أسسها الشباب المثقف والذي نال قدرا وافرا من الخبرة والتجارب من نضال الشعب السوداني وثقافته وانتشرت وتغلغلت في نفوس الشعب الارتري واعتنقها ثم انتشرت في الداخل والخارج وبرامجها وخارطة طريقها ذوات الأربع نقاط وهي :-

مرحلة التأسيس

مرحلة الانتشار والتوسع

مرحلة التركيز

مرحلة التنفيذ

هذه كانت برامجها وخارطة طريقها وكانت كل مرحلة تأخذ حظها من النقد والمراجعة الدقيقة لفترة من الزمن ثم يتم الانتقال إلى المرحلة التي بعدها ثم التي بعدها

وكان يتخلل كل تلك المراحل مؤتمرات تحت إشراف القيادة العامة لمعرفة السلبيات والايجابيات وكان لهم قيادة بالداخل تقدر على فهمه واستيعاب كل المراحل التي سارت عليها الحركة، ولإدراك القيادة انه سيكون العبء الكبير في مرحلة التنفيذ لذا كانت تهيئة الشرطة الارترية وضباطها لتلك المرحلة حيث هم الذين سيتحملون العبيء الأكبر في تنفيذ الخطة المحكمة وطبعا بيدهم كل الإمكانات المتاحة في تنفيذ الخطة وكنا على وشك من تحقيق أهداف الحركة المتمثل في إعلان استقلال ارتريا التي هي رغبة الشعب الارتري.

ولكن وكما يقال تأتي الرياح بما لا تشتهي السف أنطلق إخوتنا في الوطن بالثورة أي الكفاح المسلح مم نبه العدو المستعمر بكل ما يملك من قوة وعتاد وتحرك لإخماد الثورة، حينها تغيرت خطة الحركة وانشقت على نفسها بين مؤيد للكفاح المسلح وغير ذلك وأعلنت تأسيس جبهة التحرير ارتريا وهكذا خاض الشعب الارتري تجربة عمرها ثلاثون عاما ومن خلال قتال ضار نال الاستقلال وللتذكير فان الجبهة انشقت إلى قسمين قوات تحرير الشعبية وجبهةالتحريرالاريترية ثم الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا وحسب إدراكي فان تلك الانشقاقات سببها هو الانحراف عن خط النضال لتحقيق رغبات الشعب إلى تبني أجندة فكرية وأيدلوجية مذهبية وهكذا فارق النضال الدرب الصحيح ولا نزال حتى يومنا هذا نعيش صراعات هي نتاج لتلك الاختلافات التي تظل أثارها على الفكر والقلب لدى القيادة الحاكمة الآن في ارتريا فتلك الإرهاصات لم تمكنهم من فتح صفحات جديدة لما بعد الاستقلال حتى يأتلف شمل الارتريين لبناء ارتريا.

كتبه : الشيخ سراج محمد نور

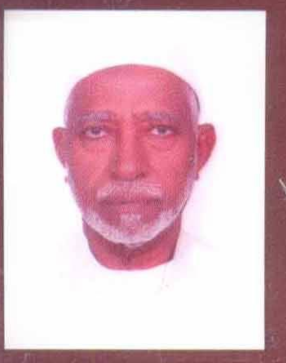
٣/ ٥/ ٢٠١٢م

الرجل والتفاحة

الكاتب: عبدالله خبير

صحيفة الخرطوم ١٨/ ٣/ ٢٠٠٩

بينما كان الرجل يسير بجانب البستان، وجد تفاحة ملقاة على الأرض وتناول التفاحة وأكلها ثم حدثته نفسه بأنه أتى على شىء ليس من حقه فأخذ يلوم نفسه وقرر أن يرى صاحب هذا البستان فإما أن يسامحه فى هذه التفاحة أو أن يدفع له ثمنها، وذهب الرجل لصاحب البستان وحدثه بالأمر فاندهش صاحب البستان من أمانة هذا الرجل وقال له «ما اسمك قال له ثابت قال له لن أسامحك فى هذه التفاحة إلا بشرط أن تتزوج ابنتى واعلم أنها خرساء عمياء صماء مشلولة إما أن تتزوجها وإما لن أسامحك فى هذه التفاحة» فوجد ثابت نفسه مضطراً، يوازى بين عذاب الدنيا وعذب الآخرة فوجد نفسه يوافق على هذه الصفقة، وحين جاءت اللحظة التقى ثابت بتلك العروسة وإذا بها آية فى الجمال والعلم والتقى فاستغرب كثيراً لماذا وصفها أبوها بأنها خرساء عمياء صماء مشلولة فلما سألها قالت: أنا عمياء عن رؤية الحرام، خرساء وصماء عن قول وسماع ما يُغضب الله ومشلولة عن السير فى طريق الحرام.. وتزوج ثابت بتلك المرأة وكان ثمرة هذا الزواج الإمام بن حنيفة النعمان بن ثابت.





هذا الكتاب...

عند الإستقلال عام ١٩٩١ قسم نظام اسياس الذي قسم الشعب الارتيري إلى تسعة قبائل وحذف قبيلة الجبرت وأسماها (بالتجرينيه) وكما يقال رُب ضارة نافعة.

تحرك الجبرتيين المثقفيين والباحثين تحرك كل منهم ليردوا على النظام بما أجحف في حقهم ظلماً وعدواناً أما التجرينيه فهى لغة تجمعهم وليست قبيلة قبيلتهم هى (الجعزية) كما أوضح في كتاب (جرماي كيداني ودي فلبو) أما الجبرتيه هى تاريخ طويل وكما يأتى..

١- الجبرته في ارتيريا.

٢- الجبرته في الصومال.

٣- الجبرته في السودان في كتاب جديد صدر حديثاً.

٤- رواق الجبرته في القاهرة (الأزهر الشريف) منذ ألف عام.

اعداد وتقديم

سراج محمد نور